كتاب
صفات الله عز وجل

تأليف

صالح علي المسند

دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع
جدة شارع الصحافة حي مشرفة
ص . ب : ١٨٤٨٥ ت : ٦٧١٣٤٢٤/٦٧٠٠٧٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب
صفات الله عز وجل

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م
الطبعة الثانية
١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م

طبعة مصححة

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد فهذا كتاب « صفات الله عز وجل » والذى أرجو من الله أن يكون القصد من كتابته هو ابتغاء مرضاته والفوز بجنته وأن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم المجيب .

فمن قراءتى لكتب العقيدة الإسلامية والمعروفة كالعقيدة الطحاوية والواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية والأسماء والصفات للبيهقى وكتاب الأصول لأبى عمر الطلمنكى والتوحيد لابن خزيمة والسنة لأبى بكر الأثرم والسنة للخلال وغيرها من الكتب فقد رأيت معظمها قد أوجز في ذكر صفات الله عز وجل ولم أجد في كتاب منها أنه قد شمل جميع صفات الله تعالى ، وقد يعود سبب ذلك لأنهم تناولوا أموراً شتى في العقيدة كالجنة والنار وعذاب القبر والإسراء والمعراج وغير ذلك ، فهذا مما دفعنى لأن أقوم بتأليف هذا الكتاب الأوحد كتاب « صفات الله عز وجل » والذى حاولت فيه بتوفيق من الله أن أكتب جميع ما جاء من صفاته تعالى والتى جاء ذكرها في القرآن والسنة وجعلت هذا الكتاب خاصًّا لذلك ولم أتناول فيه سائر أمور العقيدة كالبعث والحساب والجنة والنار وما إلى ذلك ، وواجب المؤمن حول صفات الله تعالى هو الإيمان بها من غير تشبيه ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل بل يجب الإيمان بها كما جاء ذكرها في

القرآن والسنة ونجريها على ظاهرها ، فظاهرها هو المراد ، ولا نمثلها أو نشبهها بصفات أحد من الخلق ولا نكيفها أو نخوض بالسؤال عن ماهيتها وكنهها ، فقد جاء عن الإمام مالك أنه حينما سئل عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . فنحن نؤمن بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله لا نتجاوز القرآن والحديث : قال الإمام أحمد : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث وهذا هو مذهب السلف فإنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك هو حق ليس فيه لغز ولا أحاجى بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ، لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصحهم في بيان العلم والتعريف والدلالة والإرشاد صلوات الله عليه وسلامه . والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فهو تعالى له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة وله صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل ، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته . هذا وقد استعنت بما جاء في صحيح الإمام البخارى ومسلم من أحاديث لكتاب « صفات الله عز وجل » وذلك لتوقى الأحاديث الضعيفة ، أيضاً فإنى لم أتناول ما جاء من أقوال

الفرق الضالة كالمعتزلة والأشعرية والجهمية وما قالوه في صفات الله ، فإنهم قد ضلوا وأضلوا من بعدهم خلقًا كثيرًا بتأويلاتهم الفاسدة لآيات وأحاديث الصفات ومنهم من أنكرها وعطل صفات الله تعالى ومنهم من شبه الله بخلقه ، وقد تصدى لهم السلف وأئمة الإسلام بالرد عليهم وعلى أقاويلهم الفاسدة ودحض حججهم ، ولولا خشية الإطالة بهذا الكتاب لتناولت تلك المقالات الفاسدة وتناولت رد السلف عليها .

وأول من عرف عنه تعطيل صفات الله تعالى هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه ، ومذهب النفاة لصفات الله تعالى من هؤلاء هو أنه ليس له إلّا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما ولما كان في المائة الثالثة من الهجرة انتشرت هذه المقالة التى كان السلف يسمونها مقالة الجهمية ، بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته ، وكلام الأئمة مثل مالك والإمام أحمد والشافعى وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه والفضيل بن عياض وغيرهم كثير في ذمهم وتضليلهم ، وهذه التأويلات المضللة الفاسدة موجودة في بعض الكتب المزعومة أنها كتب إسلامية ودين الإسلام برىء منها ، فهى موجودة في كتاب : « تأسيس التقديس » لمؤلفه أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي وأيضًا في كتب أبى على الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمدانى وأبى الحسن البصري وأبى الوفاء بن عقيل وأبى حامد الغزالى في كتابه : « إحياء علوم الدين » وفي بعض كتبه ، وتأويلاتهم هى بعينها تأويلات بشر المريسى ، وهؤلاء كتبهم مشحونة بالتأويلات الفاسدة ، لصفات الله تعالى ويوجد كثير من تلك التأويلات في

كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل الخطابى وغيره ، ومن كتب السنة التى ردت على هؤلاء وقامت بدحض حججهم وأباطيلهم كتاب : « الرد على بشر المريسى » لعثمان بن سعيد الدارمى وكتاب الإبانة لابن بطة وكتاب الأصول لأبى عمر الطلمنكى وكتاب الأسماء والصفات للبيهقى وكتاب التوحيد لابن خزيمة وكتاب الرد على الجهمية للإمام البخاري وكتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد ، وكتاب العلو للحافظ الذهبى وكتاب خلق أفعال العباد للإمام البخارى وكتاب السنة للأثرم وكتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد وكتاب السنة للخلال وللالكائى ولأبى ذر الهروى وللطبرانى ولأبى الشيخ الأصبهانى ولعبد الله بن مندة ولأحمد العسال ولحنبل وللمروزى ولأبى دؤاد السجستانى ولأبى بكر بن أبى عاصم وكلام لنعيم بن حماد الخزاعي ولإسحاق بن راهويه ويحيى بن سعيد وعبد الله بن المبارك ولشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وهؤلاء وغيرهم من أئمة السلف تناولت بعض أقاويلهم في هذا الكتاب كما تناولت بعض الأقاويل للشيخ ابن كثير وابن جرير ومجاهد وابن عباس وعبد الله بن مسعود وابن قتيبة وغيرهم . هذا وبالله التوفيق وجعلنا الله وإياكم من أتباع أمة محمد ﷺ اللهم آمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

صالح علي المسند

بدء تحريره فى الخميس الموافق ١٤١٠/٥/٢ هـ

(١) استواء الله على العرش

أخبرنا سبحانه وتعالى عن استوائه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن الكريم وكلها بلفظ « استوى » ولفظ استوى في اللغة إذا عدى بعلى لا يمكن أن يفهم منه إلّا العلو والارتفاع ، وقد فسَّر أئمة السنة أمثال أبي العالية ومجاهد وغيرهم أن المقصود بـ « استوى » هنا هو العلو والارتفاع . ولا يذكر عن سواهم غير ذلك . وقد سئل الإمام مالك عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . فالله عز وجل فوق عرشه مستو عليه بالكيفية التى لا يعلمها إلّا هو سبحانه وتعالى . وقد أخبرنا الله عز وجل عن استوائه على عرشه ولم يخبرنا عن كيفية وكنه ذلك الاستواء ، فالكيفية هنا لا يعلمها إلّا الله وحده ، أما الاستواء فمعلوم عنه أنه العلو والارتفاع فوق العرش فنحن نؤمن باستواء يليق بجلاله وعظمته من غير أن نمثل استواءه سبحانه وتعالى كاستواء أحدٍ من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية جاءت صريحة بإثبات صفة الاستواء لله عز وجل ولا يجوز تحريفها أو صرفها إلى غير ظاهرها بل نجريها على ظاهرها فظاهرها مراد ، ولا نعطلها أو نمثلها بصفات أحد من خلقه ، وجميع ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من آيات وأحاديث في صفات الرب تعالى نمررها كما جاءت ونفهم ما يراد منها من ظاهر اللفظ من غير صرف تلك الألفاظ إلى معانٍ وتفسيرات مخالفة للنص ، فنحن نثبت جميع

ما أثبته الله من صفات وأثبته له نبيه محمدٌ ﷺ من غير تمثيل ذلك بصفات خلقه فأهل السنة بين التعطيل والتمثيل . فهم لا ينفون صفات الله التي وصف بها نفسه ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه فالله نفى عن نفسه المثل وأثبت الصفة .

وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية أن للعرش قوائم تحمله الملائكة وهم اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية . وجاء في الحديث قول النبى ﷺ : « إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش » الحديث ، [متفق عليه] .

والعرش كما قال عنه السلف إنه سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات .

وقوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ؛ قال ابن عباس في تفسيره لهذه الآية : الكرسي غير العرش وقال : الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدّر قدره إلّا الله تعالى . ومعنى (موضع القدمين) أى قدمى الرب عز وجل . وقال أبو ذر رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسي في العرش إلَّا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » حديث صحيح . فالله عز وجل فوق عرشه مستو عليه وعرشه فوق سماواته ، وهو لا تخفى عنه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة .

[الآيات القرآنية التى ذكر فيها استواء الرب جل وعلا على العرش]

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يونس : ٣] ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الرعد : ٢] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الفرقان : ٥٩] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [السجدة : ٤] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الحديد : ٤] وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ٢٩] فسّرها السلف بالعلو والارتفاع .

[الأحاديث النبوية الصحيحة التى ذكر فيها استواء الرب على العرش]

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش أن رحمتى تغلب غضبي » (١) [متفق عليه] .

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يدُ الله ملأى لا يغيضها نفقة سحَّاءُ الليل والنهار » .

وقال : « أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده » .

---

(١) البخارى : ٧٤٠٤ ، مسلم : ١٤/٤٩ .

وقال : « عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع » [٢] .

[متفق عليه]

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحَّاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض » [٣] . [متفق عليه] .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التى ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا ننبِّئُ الناس بذلك ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » [٤] .

[رواه البخارى في صحيحه]

عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : « دخلت على النبى ﷺ وعقلت ناقتى بالباب فأتاه ناس من بنى تميم فقال : اقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا : قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم قالوا : قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألكَ عن هذا الأمر ، قال : كان الله ولم يكن شيء غيرُهُ

---

(٢) البخارى : ٧٤١١ ، مسلم : ٣٧/١٢ .
(٣) البخارى : ٧٤١٩ ، مسلم : ٣٧/١٢ .
(٤) البخارى : ٧٤٢٣ .

وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض فنادى منادٍ ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب فوالله لوددت أني كنت تركتها » (٥) . [رواه البخاري في صحيحه] .

عن عبد الله بن عباس قال : « أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار ، فقال لهم رسول الله ﷺ ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا قالوا : الله ورسوله أعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله ﷺ فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمرًا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ماذا قال ؟ قال : فيستخبر بعض أهل السموات بعضًا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون » (٦) . [رواه مسلم] .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال : وعرشه على الماء » (٧) . [رواه مسلم] .

---

(٥) البخاري : ٣١٩١ .
(٦) مسلم : ١٢٤/٣٩ .
(٧) مسلم : ١٦/٤٦ .

عن عبد الله بن عباس عن جويرية : « أن النبى ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلّى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال مازلت على الحال التى فارقتك عليها ؟ قالت : نعم ، قال النبى ﷺ : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » (٨) . [رواه مسلم] .

---

(٨) مسلم : ٧٩/٤٨ .

(٢) إثبات صفة العلو لله عز وجل

صفة العلو لله عز وجل هى إحدى صفاته التى وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ .

وقد ذكر الله عز وجل علوهُ على جميع خلقه وأنه فوق كل شىء ولا شىء فوقه تعالى الله أن يكون فوقه مخلوق ولله عز وجل العلو المطلق علو القدر وعلو القهر وعلو الذات ومع أنه جل وعلا فوق كل شىء إلّا أنه يعلم ما العباد عاملون فيسمع أصواتهم ويرى حركاتهم فلا يخفى عنه خافية ، وهو سبحانه مع هذا يقرب من أهل عرفة عشية عرفة ويباهى بهم الملائكة وهو على عرشه لا ينافى قربه منهم خلو العرش منه بل علوه من لوازم ذاته كما أن نزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير لا يستلزم ذلك خلو العرش منه فهو سبحانه وتعالى علىّ فى دنوّه قريب فى علوه ، ويقرب الله سبحانه وتعالى من سائليه وداعيه بتقريب قلوبهم إليه وإن كانت أبدانهم على الأرض ، وقال ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » . [رواه مسلم] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] وهذا القرب خاص لمن سأله ودعاه . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : الذين يثبتون تقريبه العباد إلى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة وأما دنوّهُ نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختياريه بنفسه ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستوائه على العرش وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام وأهل الحديث والنقل

بذلك متواتر . انتهى كلام الشيخ (١) . وأعود وأقول نؤمن بعلو الله عز وجل وأنه فوق كل شيء على عرشه مستو عليه بائن من عرشه وعرشه بائناً منه محيط بكل شيء خلقه إحاطة عظمة وسعة وعلم وقدرة كما قال ابن عباس ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن فى يد الرحمن إلّا كخردلة في يد أحدكم . قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴾ [فصلت : ٥٤] . وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾ [البروج : ٢٠] . وهو سبحانه بائن من خلقه وخلقه بائنون منه لا متحدًا فيهم ولا هم متحدين به لا حال بهم ولا هم حالين به وكثيرة هى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى جاء فيها صفة العلو لله وسوف أذكر منها ما وفقنى الله به .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ : ٢٣] ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ [النساء : ١٥٨] ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢] ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [النحل : ٥٠] ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ ﴾ [الأنعام : ٦١] ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ [المعارج : ٤] ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] ﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك : ١٦] : أى على السماء ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [التوبة : ٢] : أى فوق وعلى الأرض ، ومثل قوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ [طه : ٧١] فالمقصود : على النخل ، وليس داخل الجذع وهذا معلوم بالضرورة ، وقد قال بعض المفسرين عند قوله : ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ : أى جهة العلو وليس لهم غير ذلك تفسير .

---

(١) فتاوي ابن تيمية جـ٥ ص٤٦٦ نقل بتصرف .

[الأحاديث النبوية التى جاءت فيها صفة العلو لله عز وجل]

عن أنس قال : « جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبى ﷺ يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قالت عائشة : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه قال : فكانت زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات وعن ثابت وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس . نزلت فى شأن زينب وزيد بن حارثة » (١) . [رواه البخاري] فى صحيحه .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلّا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربِّى أحدكم فلُوَّهُ حتى تكون مثل الجبل » (٢) . [متفق عليه] . وهذا لفظ البخاري وعند مسلم فيه اختلاف قليل فى النص وهو أيضاً يرويه عن أبى هريرة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول : كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهو يصلون وآتيناهم وهم يصلون » (٣) . [متفق عليه] .

---

(١) البخارى : ٧٤٢٠ .

(٢) البخارى : ٧٤٣٠ ، مسلم : ٦٣/١٢ .

(٣) البخارى : ٧٤٢٩ ، مسلم : ٢١٠/٥ .

قوله ثم يعرج الذين باتوا فيكم : أى يصعد والعروج معناه الصعود ، وفى هذا دلالة على علو الله عز وجل حيث أن الملائكة تعرج إليه أى تصعد .

وهذه الأحاديث الثلاث السابقة جميعها تثبت صفة العلو لله عز وجل : فزينب كانت تفخر على أزواج النبى ﷺ بقولها : زوجنى الله من فوق سبع سماوات ، وحديث الصدقة فيه « ولا يصعد إلى الله » دال على علو الله عز وجل ، والحديث الذى فيه « عروج الملائكة » ومعناه كما أسلفنا الصعود .

عن أبى سعيد الخدرى قال : « بعث علي بن أبى طالب رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بِذُهيبةٍ فى أديم مقروظ لم تحصَّل من ترابها قال : فقسمها بين أربعة نفر بين عُيَيْنَة بن بدر وأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساء .... » [٤] الحديث . [متفق عليه] . تأكيد النبى ﷺ صفة العلو لله بقوله : « وأنا أمين من فى السماء » وليس المقصود بقوله : « فى السماء » أن السماء تظله أو تقله تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، فالله أكبر من ذلك ولكن يقصد بقوله « فى السماء » أى فوق العرش ولفظ « في » هنا كما تكلمنا عنها سابقاً معناه أي : « على » وليس لها غير ذلك تفسير .

---

(٤) البخارى : ٤٣٥١ ، مسلم : ١٤٤/١٢ .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلَّا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها » (٥) . [رواه مسلم] .

عن معاوية بن الحكم السلمي قال : « بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم ... » الحديث .. وفيه قال : « وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَل أُحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ قلت يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : ائتني بها فأتيته بها فقال لها أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال : اعتقها فإنها مؤمنة » (٦) . [رواه مسلم] . والحديث طويل لكني اختصرته وأخذت منه ما ينفع موضوع الباب .

عن سهيل قال : « كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من

---

(٥) مسلم : ١٦/١٢١ .
(٦) مسلم : ٥/٣٣ .

الفقر) . وكان يروى ذلك عن أبى هريرة عن النبى ﷺ (٧) » . [رواه مسلم] .

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال : فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون : جئنا من عند عباد لك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال : وماذا يسألونى ؟ قالوا : يسألونك جنتك ، قال وهل رأوا جنتى ؟ قالوا : لا أى رب قال فكيف لو رأوا جنتى ؟ قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيروننى قالوا : من نارك يارب . قال وهل رأوا ناري قالوا : لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وآجرتهم مما استجاروا قال : فيقولون رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم قال : فيقول وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » (٨) . [رواه مسلم] .

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بكفيه فحرَّفها وبدَّد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته

---

(٧) مسلم : ٦١/٤٨ .

(٨) مسلم : ٢٥/٤٨ .

ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء » (٩) . [رواه البخاري في صحيحه] .

وجاء فى حديث الإسراء : « أنه عُرِج بالنبى ﷺ حتى وصل به جبريل إلى السماء السابعة إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى وهناك دنا رب العزة من سيدنا محمد فتدلى فأوحى إليه خمسين صلاة . ثم هبط فمرَّ بموسى عليه السلام وأخبره بما فرض عليه ربه فقال له موسى ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تستطيع ذلك فالتفت النبى ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار فطلب من ربه التخفيف فوضع عنه عشر صلوات » وحديث الإسراء هذا فيه إثبات لعلو الله عز وجل وذلك يتضح من نزول سيدنا محمد ﷺ إلى أن يمرَّ بموسى ثم يصعد من عند موسى إلى ربه يسأله التخفيف عن أمته .

(٩) البخارى : ٤٨٠٠ .

(٣) إثبات صفة النزول لله عز وجل

جاء ذكر نزول الرب جل جلاله إلى السماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل فى كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة حيث ورد : « أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له » . وجاء أيضاً فى الحديث الصحيح : « أنه يدنو من أهل عرفة عشية عرفة فيباهي بهم الملائكة » وجاء فى الآية القرآنية والحديث النبوي الصحيح وهو حديث الصور المشهور : « أنه يأتى يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد » . وكل ما ورد من ذكر نزول الله عز وجل فهو حق ويجب الإيمان به ، كما يجب أن نمرر وأن نجري الأحاديث النبوية التى ذكرت ذلك كما جاءت فظاهرها مراد ولا نحرف ذلك ولا نصرف تلك الألفاظ إلى معانى مخالفة لما يراد منها بل يجب علينا أن نؤمن بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ولكن من غير أن نمثل صفاته عز وجل بصفات أحد من خلقه تعالى الله عن ذلك . فإنه ليس نزول الله عز وجل كنزول أحدٍ من خلقه تعالى الله عن ذلك . فالله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا بالكيفية التى يعلمها هو ، ولا يقتضى نزوله سبحانه خلو العرش منه بل علوه عليه من لوازم ذاته فهو لا يكون قط إلّا عالياً ليس فوقه شيء ألبتة ، فإنه سبحانه وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا ويدنو من أهل عرفة عشية عرفة ويقرب ويأتى وهو فوق عرشه ، فعلوهُ من لوازم ذاته ، والله عز وجل فوق عرشه مستو عليه وهو سبحانه وتعالى بائن من عرشه وعرشه بائن منه ، والله عز وجل بقدرته وعظمته خلق العرش

ليستوى عليه وليس لحاجته إليه فالله عز وجل حامل للعرش وحملته وليس العرش حاملاً لله . والله محيط بالعرش وغنى عنه ، والعرش مفتقر إليه ، والله حاصر للعرش والعرش غير حاصرٍ له .

[الأحاديث النبوية التى جاء فيها ذكر النزول الإلٰهى]

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :« يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له »(١) . [متفق عليه] .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء »(٢) . [رواه مسلم] .

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعونى فأستجيب له من ذا الذي يسألنى فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر »(٣) . [رواه مسلم] .

وكثيرة هى الأحاديث النبوية التى جاء فيها ذكر نزول الله عز وجل

---

(١) البخارى : ٧٤٩٤ ، مسلم : ٦/١٦٨ .
(٢) مسلم : ١٥/٤٣٦ .
(٣) مسلم : ٦/١٦٩ .

إلى السماء الدنيا ، فنحن نؤمن بذلك النزول كما نؤمن بمجيئه سبحانه يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد ونؤمن بدنوّه عز وجل على أهل عرفة عشية عرفة ، ونؤمن بنزوله إلى أهل الجنة وهذه كلها أفعال يفعلها بنفسه فى هذه الأمكنة ، ونزوله ومجيئه ودنوّه سبحانه وتعالى لا يقتضى خلو العرش منه ، بل هو عز وجل فوق كل شيء فهو ينزل إلى السماء الدنيا وهو على عرشه ، كما أنه يدنو ويقرب من أهل طاعته وقت سؤالهم له وهو على عرشه ، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ذلك من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وقربه سبحانه وتعالى ممن دعاه وسأله يكون بتقريب قلوبهم إليه وإن كانت أبدانهم على الأرض .

(٤) إثبات صفة المجيء والإتيان لله عز وجل

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] . انظر للتنويع فى صفة الإتيان فى هذه الآية فإنه تعالى فرَّق بين إتيان الملائكة وبين إتيانه عز وجل وبين إتيان بعض آياته .

وقال تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ..

وقد صرحت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على إتيان الله عز وجل يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين فيجزى كل عامل بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر . والإتيان والمجيء صفة من صفات الله عز وجل التى وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ، وهى من الأفعال الاختيارية له عز وجل وهى من الصفات القائمة بذاته المقدسة ، وليس مجيئه وإتيانه كمجيء وإتيان أحد من خلقه تعالى الله عن ذلك وحديث الصور مشهور والذى ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم وهو عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ... وفيه أن الناس إذا اهتموا لموقفهم فى العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحدًا واحدًا من آدم فمن بعده فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد ﷺ فإذا جاءوا إليه قال : « أنا لها أنا لها » فيذهب فيسجد لله تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتى في ظلل من الغمام بعد ما تنشق

السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة وينزل حملة العرش والكروبيون قال وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة ولهم زجل من تسبيحهم .

وساق ابن جرير الطبري فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الحديث المشهور وهو حديث الصور ولفظه : « إذا كان يوم القيامة تقفون موقفاً واحدًا مقدار سبعين عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون دمًا وتعرقون حتى يبلغ منكم العرق الأذقان ويلجمكم فتضجون وتقولون من يشفع لنا عند ربنا فيقضى بيننا فتقولون من أحق بهذا من أبيكم آدم جبل الله تربته وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه الله قبلًا فيؤتى آدم فيطلب ذلك إليه فيأبى ثم يستقرئون الأنبياء كلما جاءوا نبيًّا يأبى حتى يأتونى فيسألونى فآتى ؟ الفحص قدام العرش فأخر ساجداً فلا أزال ساجدًا حتى يبعث الله عز وجل إلىّ ملكًا فيأخذ بعضدي فيرفعنى ثم يقول الله : محمد ، فأقول نعم وهو أعلم ، فأقول يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فأقضى بينهم ، فيقول قد شفعتك أنا آتيهم فأقضي بينهم . قال رسول الله ﷺ فأنصرف فأقف مع الناس ، فبينا نحن وقوف سمعنا حسًّا من السماء شديدًا فهالنا فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم فقال أهل الأرض أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا ، وهو آت ، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلى من نزل من الملائكة ومثلى من فى الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم قال الناس : أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا . وهو آت ، ثم ينزل أهل السماء الثالثة

بمثلى من نزل من الملائكة ومثلى من فى الأرض من الجن والإنس ، ثم نزل أهل السموات على قدر ذلك من التضعيف فيأمر الله بعرشه فيوضع حيث شاء ويحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والسموات إلى حجزهم والعرش على كواهلهم والملائكة حول العرش لهم زجل بالتسبيح ثم ينادي نداء يسمع الخلائق فيقول : يا معشر الجن والإنس إنى أنصت لكم منذ يوم خلقتكم فأنصتوا لي اليوم فإنما هى صحفكم وأعمالكم تقرأ عليكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلم إلّا نفسه فيقضي الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم فإنه ليقيد يومئذ للجماء من ذات القرن وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور » [١] .

وهذا الحديث الذى استشهد به الإمام الطبري في تفسيره صريح ويؤكد على إتيان الله تعالى على ظاهره ، يأتى إلى الأرض يوم الجزاء ليفصل بين عباده ويحاسبهم بنفسه تعالى : وإن كان سند هذا الحديث ضعيفًا إلّا أن النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة قد دلت عليه .

وجاء في الصحيح ، عن أبي هريرة : « أن الناس قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة .... (الحديث وفيه) فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم ... الحديث ... [٢] متفق عليه . وفي هذا الحديث إثبات صفة المجىء والإتيان لله تعالى .

---

(١) تفسير ابن جرير جـ٤ ص ٢٦٦ طبعة ابن تيمية تحقيق محمود شاكر

(٢) البخاري : ٧٤٣٧ مسلم ٢٩٩/١ .

(٥) إثبات صفة قرب الله عز وجل من الداعي

ورد ذكر قرب الله من عباده وقت دعائهم وسؤالهم له في الآية القرآنية : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] وقال تعالى : ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [هود : ٦١] وجاء في الحديث الذي رواه أبو موسى عن النبي ﷺ قوله : « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »

[متفق عليه]

ولم يجيء في القرآن الكريم وصف الرب سبحانه وتعالى بالقرب من كل شيء بل جاء قربه في القرآن خاصًّا وليس عامًّا . فهو سبحانه وتعالى قريب ممن دعاه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ فقيد القرب بسؤال ودعاء العبد له وكذا في الصحيحين الحديث الذي رواه أبو موسى عن النبي ﷺ وفيه قال : « إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » فخص القرب بالداعي والسائل ولم يقل أقرب لكل شيء ، وقربه سبحانه وتعالى من قلب الداعي أكثر من قرب عنق راحلته له .

وقرب الله عز وجل من قلب الداعي له معنى متفق عليه بين أهل الإثبات لصفات الرب جل جلاله ، ومعنى القرب عندهم هو تقريب قلب الداعي إليه ، كما يقرِّب إليه قلب الساجد ، كما جاء في الصحيح : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » فالساجد يقرب الرب إليه

فيدنو قلبه من ربه وإن كان بدنه على الأرض ، ومتى قرب أحد الشيئين من الآخر صار الآخر له قريباً ، وأما دنوُّه بنفسه وتقرُّبه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ، ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستوائه على العرش وهذا مذهب السلف وأئمة الإسلام وأهل الحديث .

[الأحاديث التي جاء فيها قرب الرب ممن دعاه وسأله]

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء » (١) [رواه مسلم] .

عن أبي موسى الأشعري قال : « لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أو قال : لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير ؛ الله أكبر الله أكبر لا إله إلاَّ الله فقال رسول الله ﷺ : أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم وأنا خلف دابّة رسول الله ﷺ فسمعنى وأنا أقول لا حول ولا قوة إلاَّ بالله فقال لي : يا عبد الله بن قيس قلت : لبيك رسول الله قال : ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة ؟ قلت بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي ، قال : لا حول ولا قوة إلَّا بالله » (٢) [متفق عليه] .

وهذا لفظ البخاري . عن مسلم زاد فيه « إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » .

---

(١) مسلم : ١٥/٤٣٦ .

(٢) البخاري : ٤٢٠٥ ، مسلم : ٤٨/٤٤ - ٤٦ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : يقول الله تعالى « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ،فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلىّ بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرَب إلىّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » (٣) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

وقول النبي ﷺ : « من تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعاً » أي أن الله عز وجل يزيد من تقريب هذا المتقرب إليه جزاء على تقربه باختياره ، فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر ، زاده الرب قرباً إليه ، حتى يكون كالمتقرب بذراع ، فكذلك قرب الرب من قلب العابد ، وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب والإيمان به ، وأما قول النبي ﷺ : « وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » فالمقصود بالهرولة في الحديث هو : أن من أتى شيئاً من الطاعات ولو قليلاً قابلته عليه بأضعاف من الإثابة والإكرام وكلما زاد في الطاعة زدته في الثواب وإن كان إتيانه بالطاعة على التأني تكون كيفية إتياني بالثواب على السرعة .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » (٤) [رواه مسلم] .

فمن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاء فيها ذكر قرب الله تعالى تبين لنا أن هذا القرب خاص لمن سأله ودعاه ، وهذا القرب إنما يكون

---

(٣) البخاري : ٧٤٠٥ ، مسلم : ٢/٤٨ .
(٤) مسلم : ٢١٥/٤ .

بتقريب قلب الداعي إليه وإن كان بدن هذا الداعي على الأرض . وأما من قالوا بأنه تعالى هو الذي يقرب من عبده الداعي والسائل فإنما أرادوا بذلك إثبات قيام الأفعال الاختيارية بذاته عز وجل ، مثل نزوله عز وجل للسماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة واستوائه على العرش وما إلى ذلك من الصفات الفعلية الاختيارية القائمة بذاته عز وجل . وكلا القولين صحيح وهو قول سلف الأمة وأهل الإسلام قاطبة .

أيضاً كقربه تعالى من موسى ودنوه منه كما في قوله تعالى : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم : ٥٢] فهو تعالى نادى موسى من موضع معين في ذلك الوقت وقرَّبه إليه ، وقربه تعالى من موسى مما دون السماء كما قال ذلك السلف ، وقربه من موسى لا يخالف علوهُ تعالى فوق العرش فهو لا يكون قط إلَّا فوق كل شيء . وقد ذكر البخاري في كتاب خلق أفعال العباد عن ابن عباس قال : « لما كلم الله موسى كان النداء في السماء وكان الله في السماء [٥] وكلا القولين حق فقول السلف لا يتعارض مع قول ابن عباس .

---

(٥) كتاب خلق أفعال العباد للبخاري .

(٦) إثبات صفة معيَّة الله لعباده

جاء ذكر معيَّة الله لعباده في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهذه المعيَّة التي جاءت في القرآن والسنة قسمان . منها : معية عامة لجميع خلقه وتشمل اطلاعه عليهم وعلمه بكل شيء هم عاملوه ومراقبته لهم وشهود أفعالهم ، كما قال تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة : ٧] ومعيته لخلقه لا تنافي أو تخالف علوّه على خلقه فهو على عرشه مستو عليه ، فهو لا يكون قط إلّا عاليًا وهو مع جميع خلقه بعلمه وإحاطته واطلاعه وقدرته وهيمنته عليهم . قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] فأخبرنا الله تعالى أنه فوق عرشه مستو عليه ويعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا . وحينما فسَّر السلف المعيَّة العامة أنها معيَّة علم ، أرادوا بذلك أن يبينوا أن الله عز وجل غير مختلط بالخلق ولا حال فيهم أو أن شيئا من مخلوقاته تحويه أو تقله أو تظله تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

والمعيّة الخاصة كما جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] فهذه معيّة نصر وتأييد وحفظ وحماية ، وقوله تعالى : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ [التوبة : ٤٠] بالنصر

والتأييد والحفظ والحماية كما أنه تعالى معهم أيضًا بإحاطته وقبضته واطلاعه ومراقبته وهيمنته وعلمه وشهادته .

والمعيّة لا تدل على المخالطة كما أسلفت وإنما تدل على المصاحبة كما قال رسول الله ﷺ : « اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل » [رواه مسلم] فالله جل وعلا مع المسافر في سفره ومع أهله في وطنه وهو تعالى فوق عرشه لا ينافي ذلك علوّه على عرشه ، فمعيّته سبحانه وتعالى من صفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ، وإن استصعب عليك فهم معنى المعيّة فاعلم أن السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلّا كخردلة في يد العبد .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها ذكر صفة المعيّة لله عز وجل مع خلقه]

عن أبي موسى قال كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ : « أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم قال وأنا خلفه وأنا أقول لا حول ولا قوة إلّا بالله ، فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : قل لا حول ولا قوة إلّا بالله » (١) [متفق عليه . وهذا لفظ مسلم] .

---

(١) مسلم : ٤٨/٤٤ ، البخاري : ٧٣٨٦ .

تأمل قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ في الحديث ، فهو الشاهد على إثبات صفة المعيّة الخاصة .

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا ومن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهرول » (٢) [متفق عليه] وهذا لفظ مسلم . الشاهد في الحديث على إثبات صفة معيّة الله قوله : « وأنا معه حيث يذكرني » وهذه المعيّة خاصة ، لأنها تخص الذاكر لله فيكون الله معه بنصره وتأييده وحمايته كما يكون معه بعلمه وإحاطته وشهوده ومراقبته وهيمنته .

---

(٢) مسلم : ١/٤٩ ، البخاري : ٧٤٠٥ .

(٧) إثبات صفة الوجه لله عز وجل

جاء ذكر وجه الله عز وجل الذي وصفه بالجلال والإكرام والبقاء ونفى عنه الهلاك في أكثر من آية وذكره نبيه المصطفى ﷺ في أكثر من حديث ، ففي السنن عن حديث جابر عن النبي ﷺ قال : « لا ينبغي أن يسأل بوجه الله إلّا الجنة » .

وجاء من دعائه ﷺ : « أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك » والآيات القرآنية التي جاءت بذكر صفة الوجه لله تعالى كثيرة وكلها تثبت أن لخالقنا عز وجل وجهاً يليق بجلاله ، وليس كالوجوه ، فهو ليس كمثل أحداً من خلقه ولا خلقه مثله ، فنثبت له وجهاً كما أثبته لنفسه وأثبته له نبيه من غير تعطيل ولا تمثيل ، وكذا في سائر صفاته نثبتها له ولا نمثلها بصفات خلقه ، فهو جل وعلا ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، ونمرر جميع آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها ولا نحرفها أو نظن أن لها معنى يخالف ما دلت عليه ظاهرها ، فظاهرها مراد .
قال تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام : ٥٢] ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف : ٢٨] ﴿ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٨] ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٩] ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإنسان : ٩] ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ

تُجۡزَىٰٓ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [الليل : ١٩ ، ٢٠] وذكر الخطابي والبيهقي وغيرهما : قالوا : لما أضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال : ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] دل على أن ذكر وجه ليس بصلة وأن قوله : ﴿ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ صفة للوجه وأن الوجه صفة للذات فتأمل رفع قوله : ﴿ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ عند ذكر الوجه وجرِّه في قوله · ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٨] فذوى الوجه المضاف بالجلال والإكرام لما كان القصد الإخبار عنه وذوى المضاف إليه بالجلال والإكرام في آخر السورة لما كان المقصود عين المسمى دون الاسم فتأمله . انتهى .[١] .

ووجه الله عز وجل من صفاته القائمة بذاته وجميع صفاته قائمة بذاته وليست منفصلة عنه .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها ذكر الوجه لله عز وجل]

عن جابر بن عبد الله قال : « لما نزلت هذه الآية : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ﴾ قال النبي ﷺ أعوذ بوجهك فقال : ﴿ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾ [الأنعام : ٦٥] فقال النبي ﷺ أعوذ بوجهك قال : ﴿ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا ﴾ فقال النبي ﷺ : « هذا أيسر »[٢] [رواه البخاري في صحيحه] .

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي .
(٢) البخاري : ٧٤٠٦ .

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلّا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن » (٣) [متفق عليه] . وهذا لفظ البخاري وعند مسلم (رداء الكبرياء) .

عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال : « قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ فقال : إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور – وفي رواية أبي بكر (النار) – لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » (٤) [رواه مسلم] . ومعنى سُبحات وجهه أي نوره وجلاله وبهائه ، وهذه الصفات تعود للوجه .

---

(٣) البخاري : ٧٤٤٤ ، مسلم : ٢٩٦/١ .
(٤) مسلم : ٢٩٣/١ .

(٨) إثبات صفة النور لله عز وجل

ذكر الله تعالى في محكم كتابه الكريم أنه : نور السموات والأرض وجاء ذلك على لسان نبيه المصطفى صلوات الله عليه وسلامه في أحاديث كثيرة ومتنوعة ، وقد أخبرنا الله في كتابه الكريم أن الأرض تشرق بنوره وذلك إذا جاء لفصل القضاء بين العباد يوم القيامة . فالنور من صفاته تعالى المتصف بها واشتق من هذه الصفة اسماً له تسمى به وهو (النور) وجاء في الأثر أيضاً أن حجابه الذي يحتجب به عن خلقه من نور كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ .

وتنوعت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في ذكر نور الرب عز وجل . والنور حينما يضاف إلى الله عز وجل ينقسم إلى نوعين .

النوع الأول : إضافة صفة إلى موصوفها .

النوع الثاني : إضافة مفعول لفاعله .

فإضافة صفة لموصوفها كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر : ٦٩] وإشراق الأرض هذا يكون يوم القيامة فإنها تشرق بنوره تعالى وذلك إذا جاء الله تعالى لفصل القضاء بين العباد ، وأيضاً ما جاء عن النبي ﷺ قوله : « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة » [رواه الطبراني] وقوله ﷺ : « أعوذ بنور وجهك الكريم أن تضلني لا إله إلّا أنت » [رواه الطبراني] فهنا يخبرنا النبي ﷺ أن الظلمات أشرقت لنور وجه الله عز وجل ، وفي معجم الطبراني

والسنة له وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي وغيرها عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السموات والأرض من نور وجهه » وهذا القول لابن مسعود أرجح وأصوب في تفسير الآية ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥] فمن فسرها بأنه هادى أهل السموات والأرض ، ومن قال : بأنه هادى لأهل السموات والأرض فإن هذا لا يمنع أنه تعالى يكون في نفسه نوراً ، فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء أو بعض أنواعه ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى ، بل قد يكونان متلازمين ولا دخول لبقية الأنواع فيه ، وبنور الله تعالى اهتدى أهل السموات والأرض وهذا إنما فعله وأما النور الذي هو وصفه فهو قائم به ، ومنه اشتق له اسم « النور » الذي هو أحد الأسماء الحسنى ، إذاً فالآية القرآنية صرحت بأنه تعالى ﴿ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فنقف عندها ولا نحرفها بل نُسلِّم لذلك ونعلم ما أريد منها من ظاهرها ، فمعناها هو ظاهر الآية وهو أن الله عز وجل هو نور السموات والأرض وليس معنى ذلك أن نور الشمس والقمر والكواكب من نور الله تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً .

وجاء في الحديث أن حجابه الذي يحتجب به عن خلقه هو النور وفي رواية « النار » كما جاء ذلك في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري . قال : « قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور – وفي رواية النار – لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » إذاً فالله

عز وجل قد احتجب عن خلقه بحجاب من نور ولو كشف هذا الحجاب لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه حيث أن بصره عز وجل لا يفوته شيء أو يحجزه حاجز أو يستره ساتر أو يحوله حائل . وفي حديث أبي ذر الذي أخرجه مسلم في صحيحه قال : « سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : نور أنّى أراه » (١) وفي رواية « رأيت نوراً » (٢) .

هذا والله أعلم من لفظ الحديث أنه كان ثم نور وحال دون رؤيته نور فأنّي أراه ! ! أي كيف لي أن أراه . هذا والله أعلم أن رؤيته كانت لنور الحجاب كما صح عنه في الحديث « رأيت نوراً » [رواه مسلم] . فنور الحجاب والله أعلم هو الذي حال دون رؤيته لربه والشاهد لذلك قوله « رأيت نوراً » و « نوراً أنّى أراه » .

قال ابن القيم : جاءت النصوص بتسمية الرب نوراً ، وبأن له نوراً مضافاً إليه ، وبأنه نور السموات والأرض وبأن حجابه النور ، فهذه الأربعة أنواع :

فالأول : يطلق عليه تعالى اسماً له ، فإنه النور الهادي .

الثاني : يضاف إليه كما تضاف إليه حياته وسمعه وبصره وعزته وقدرته وعلمه .

الثالث : يضاف إلى وجهه الكريم .

الرابع : يضاف إلى ذاته المقدسة .

فإضافته إلى – وجهه تعالى – كقوله ﷺ : « أعوذ بنور وجهك »

(١) مسلم : ٢٩١/١ .
(٢) مسلم : ٢٩٢/١ .

وقوله : « نور السموات والأرض من نور وجهه » وإضافته إلى ذاته المقدسة كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ وكما في الحديث عن عبد الله ابن عمر : « أن الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره » الحديث ويضاف نوره تعالى إلى السموات والأرض ، كقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وقوله في الحديث : « أنت نور السموات والأرض » وكذا حجابه النور كقوله في الحديث « حجابه النور أو النار » [رواه مسلم] . وأما الأنوار القائمة بأعيان مشاهدة فإنها قائمة بأنفسها ، فلم تأت إضافتها إلى الله تعالى أبداً . فلا يقال لأنوار المصابيح أو نور الشمس أو القمر أو الكواكب : إنها نور الله . انتهى كلامه (١) .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها ذكر نور الله عز وجل]

عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال : « قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور ، وفي رواية أبي بكر – النار – لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » (٢) [رواه مسلم] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال : « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ولك

---

(١) مختصر الصواعق . لابن القيم – نقل باختصار وتصرف . ص ١٩٤ ، ١٩٥ طبعة المطبعة السلفية بمكة المكرمة .

(٢) مسلم : ٢٩٣/١ .

الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك خاصمت وبك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت وما أنت أعلم به مني لا إلٰه إلّا أنت » (١) [رواه البخاري ومسلم] .

فمن الحديثين اللذين ذكرتهما هنا في باب إثبات صفة النور لله عز وجل يتبين لنا أن الله عز وجل قد أثبت لنفسه صفة النور وأثبته له نبيه ﷺ ، ولهذا لم أحاول التطويل في هذا الباب ، فإن ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية حول صفة نور الله لا يتسع هذا الكتاب لتدوينه .

---

(١) البخاري : ٧٤٤٢ ، مسلم : ١٩٩/٦ .

(٩) إثبات صفة اليدين لله عز وجل

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية إثبات صفة اليدين لله عز وجل كما يليق بجلاله وأنها يدين حقيقة وليست كأيدي أحد من خلقه ، فالله تعالى ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته . وتنوعت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت فيها صفة اليدين لله عز وجل فجاء في بعض الآيات إفرادها كقوله تعالى : ﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك : ١] وقوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] ومثله في الحديث : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار » والحديث : « احتج آدم وموسى — وفيه — أنت آدم الذي خلقك الله بيده » [متفق عليه] . وجاء أيضًا الحديث « أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده » [متفق عليه] .

كما جاء تثنية صفة اليدين في بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كقوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] وقوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] ومثله في الحديث : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين » [رواه مسلم] .

والحديث : « يأخذهن بيده اليمنى ثم يطوي الأرضين بشماله » [رواه مسلم] .

فنحن نؤمن بأن لله عز وجل يدين حقيقة ولهما أصابع يضع عليها السموات والأرض وماشاء يوم القيامة . ويداه عز وجل من صفاته القائمة

بذاته عز وجل . وقد جاء إفراد اليدين في بعض الآيات وتثنيتها وجمعها وهذا كله جائز في اللغة فإنه ما يصنع بالاثنين قد ينسب إلى الواحد . ومثال ذلك تقول : رأيت بعيني وسمعت بأذني والمراد عيناي وأذناي . وكذلك الجمع يأتي بمعنى المثنى أحيانًا كقوله تعالى : ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم : ٤] والمراد قلباكما . وكذلك جاء جمع اليد حينما أضيفت إلى ضمير الجمع كقوله تعالى : ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس : ٧١] وتنوع العبارات في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حول صفة اليدين لله جعلها حقيقة لا مجازًا كما يقوله أهل الزيغ والضلال . فقد جاء في الحديث أنه تعالى غرس جنة عدن بيده وخط الألواح لسيدنا موسى بيده وخلق آدم بيده ، وجاء وصف يديه عز وجل بالطي والقبض والإمساك والكتابة وأن إحدى يديه يمين والأخرى شمال ، وأن كلتا يديه يمين ، ووقوف العبد بين يديه عز وجل وأن بيده الأخرى القسط يرفع ويخفض فهذا التنويع في السياق الذي جاء في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة يؤكد ثبوت صفة اليدين لله عز وجل وهي يدين قائمة بذاته المقدسة وهي ليست كمثل أيدي الخلق ، ويجب علينا التسليم بكل ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من صفات الله عز وجل ، وأن نجريها ونمررها على ظاهرها لأن ظاهرها هو المراد ، ولا نتعرض لها بالتحريف أو إخراجها أو صرفها عن حقيقتها بالتحريفات المضللة المنحرفة ، بل نؤمن بها كما جاءت عليه فحينما يخبرنا الله ورسوله بهذه الصفات لا يسعنا إلّا التسليم والإيمان بصفاته عز وجل ونكل علم كيفيتها إليه سبحانه وتعالى فهو الأعلم بكيفية وكُنه صفاته ونحن لا نعلم إلّا المعاني فقط نعلم أن له يدين تليق بجلاله وليست كأيدي خلقه

أما كيفية تلك اليدين فهذا نرد علمه إلى الله تعالى . فأهل السنة قاطبة يؤمنون بأن لله عز وجل يدين مختصتان به ، ذاتيتان له ، كما يليق بجلاله وعظمته .

وكان أعلم هذه الأمة بالله عز وجل كان حينما يذكر الآيات القرآنية والأحاديث التي جاء فيها صفة القبض باليدين والطي بهما كان عليه الصلاة والسلام يقبض يديه ويبسطهما تحقيقًا للصفة لا تمثيلاً لها كما أنه ﷺ لما قرأ قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] وضع إصبعه على عينه والأخرى على أذنه تحقيقًا لصفة السمع والبصر لله عز وجل ، هذا وأكتفي بهذا القدر من الكلام حول صفة اليدين لله عز وجل وأترك ذلك لأحاديث المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ففي أحاديثه ما يروي الظمآن والطالب معرفة صفات رب العالمين .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها صفة اليدين لله]

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ » [1] .

[رواه البخاري ومسلم] .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يدُ الله ملأى لا يغيضها نفقة سحّاءُ الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض

---

(١) البخاري : ٧٣٨٢ - ٦٥١٩ ، مسلم : ٢٣/٥٠ .

فإنه لم يغض ما في يده وقال عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع » (٢) . [متفق عليه] وعند مسلم جاء قوله « يمين » بدل « يد » .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن يمين الله ملأى لايغيضها نفقة سحّاءُ الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض » (٣) [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري .]

عن علقمة عن عبد الله قال : « جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع والشجر والأنهار على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يقول بيده : أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ وقال وما قدروا الله حق قدره » (٤) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري وعند مسلم بلفظ آخر] .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلّا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » (٥) [متفق عليه] وهذا لفظ البخاري وله في آخر « ولا يقبل » بدل « ولا يصعد » وأيضًا جاء عند مسلم بلفظ « ولا يقبل » .

---

(٢) البخاري : ٧٤١١ ، مسلم : ٣٧/١٢ .

(٣) البخاري : ٧٤١٩ ، مسلم : ٣٧/١٢ .

(٤) البخاري : ٧٤٥١ ، مسلم : ٢١/٥٠ .

(٥) البخاري : ٧٤٣٠ ، مسلم : ٦٣/١٢ .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُجْمَعُ المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيُريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون له : أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك الملائكة وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربنا حتى يُريحنا فيقول لهم : لست هناكم ويذكر لهم خطيئته التي أصاب »(٦) [رواه البخاري في صحيحه] .

عن أبي سعيد الخدري قال : « قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ » – الحديث وفيه : « فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا .. » (٧) الحديث . [متفق عليه] وهذا الحديث هو حديث الرؤية الطويل .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله عز وجل : أنفق أُنفق عليك » وقال : « يدُ الله ملأى لا يغيضها نفقة سحّاءُ الليل والنهار » وقال : « أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع » (٨) [متفق عليه] وعند مسلم جاءت لفظ « يمين » بدل « يد » واختلاف بسيط في اللفظ .

عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي ﷺ : « تكون الأرض يوم

---

(٦) البخاري : ٧٥١٦ .
(٧) البخاري : ٧٤٣٩ ، مسلم : ٣٠٢/١ .
(٨) البخاري : ٤٦٨٤ ، مسلم : ٣٧/١٢ .

القيامة خبزة واحدة يتكفّؤها الجبار بيده كما يكفأُ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة » (٩) الحديث [متفق عليه] .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك بيده أتلومني على أمر قدر الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى ثلاثًا (١٠) [رواه البخاري في صحيحه] .

عن عبد الله بن عَمْرو قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » (١١) [رواه مسلم] .

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله عز وجل : يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار (١٢) .

[رواه مسلم] .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : احتج آدم وموسى فقال موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم : أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله عليّ

---

(٩) البخاري : ٦٥٢٠ ، مسلم : ٣٠/٥٠ .
(١٠) البخاري : ٦٦١٤ .
(١١) مسلم : ١٨/٣٣ .
(١٢) مسلم : ١/٤٠ .

قبل أن يخلقني بأربعين سنة فقال النبي ﷺ : فحج آدم موسى فحج آدم موسى »[١٣] وفي حديث ابن أبي عمر وابن عبدة قال أحدهما : خط . وقال الآخر : كتب لك التوراة بيده . [رواه مسلم] .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض . فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيًّا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عامًا . قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى »[١٤] . [رواه مسلم] .

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[١٥] [رواه مسلم] .

عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين

---

(١٣) مسلم : ٤٦/١٣ .
(١٤) مسلم : ٤٦/١٥ .
(١٥) مسلم : ٤٩/٣١ .

الجبارون أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا : الملك أين الجبارون أين المتكبرون » (١٦) [رواه مسلم] .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال لي أنفِق أُنفِق عليك » . وقال رسول الله ﷺ : « يمين الله ملأى لا يغيضها سحّاءُ الليل والنهار أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض » (١٧) .

[متفق عليه وهذا لفظ مسلم] .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلّا الطيب إلّا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله » (١٨) . [متفق عليه وهذا لفظ مسلم] .

عن المغيرة بن شعبة يخبر به الناس على المنبر قال سفيان رفعه أحدهما أراه ابن أبجر قال : « سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ... » الحديث ... وفيه قوله : « ... أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ... »(١٩) الحديث [رواه مسلم] .

اختصرت الحديث هنا وذلك لأخذ ما ينفع الباب هنا وهو قوله :

---

(١٦) مسلم : ٢٤/٥٠ .
(١٧) البخاري : ٤٦٨٤ ، مسلم : ٣٧/١٢ .
(١٨) البخاري : ٧٤٣٠ ، مسلم : ٦٣/١٢ .
(١٩) مسلم : ٣١٢/١ .

« أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي » لإثبات صفة اليدين لله عز وجل ، كما أني قد اختصرت الحديث الذي مرّ في هذا الباب عن أبي سعيد حديث الرؤيا وذلك أيضًا لنفس الغرض فلينتبه لذلك .

عن سعد بن سعيد قال : أخبرني ابن مرجانة قال : سمعت أبا هريرة يقول : « قال رسول الله ﷺ : ينزل الله في السماء الدنيا لشطر الليل أو لثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له أو يسألني فأعطيه ثم يبسط يديه تبارك وتعالى يقول : من يقرض غير معدوم ولا ظلوم »(٢٠)

[رواه مسلم] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : جاء ذكر اليدين في عدة أحاديث ويذكر فيها أن كلتاهما يمين مع تفضيل اليمين . قال غير واحد من العلماء : لما كانت صفات المخلوقين متضمنة للنقص فكانت يسار أحدهم ناقصة في القوة في الفعل بحيث تفعل بمياسرها كل ما يذم – كما يباشر بيده اليسرى النجاسات والأقذار – بيّن النبي ﷺ أن كلتا يمين الرب مباركة ليس فيها نقص ولا عيب بوجه من الوجوه كما في صفات المخلوقين مع أن اليمين أفضلهما كما في حديث آدم قال : « اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة » فإنه لا نقص في صفاته ولا ذم في أفعاله بل أفعاله كلها إما فضل وإما عدل . وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحَّاءُ الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه والقسط بيده الأخرى يرفع

---

(٢٠) مسلم : ١٧١/٦ .

ويخفض . فبيّن النبي ﷺ أن الفضل بيده اليمنى والعدل بيده الأخرى . ومعلوم أنه مع أن كلتا يديه يمين فالفضل أعلى من العدل وهو سبحانه كل رحمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ورحمته أفضل من نقمته . ولهذا كان المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ولم يكونوا عن يده الأخرى وجعلهم عن يمين الرحمن تفضيل لهم . وكذلك الأحاديث والآثار جاءت بأن أهل قبضة اليمين هم أهل السعادة ، وأهل القبضة الأخرى هم أهل الشقاوة انتهى كلامه [٢١] .

---

(٢١) فتاوي ابن تيمية جـ ١٧ ص ٩٢ ، ٩٣ .

(١٠) إثبات صفة الأصابع والكف لله عز وجل

جاء في السنة النبوية المباركة إثبات صفة الأصابع والكف لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته . وصفة الأصابع والكف من صفات الله تعالى الذاتية القائمة به عز وجل والتي لا تنفك عن ذاته المقدسة ولا تتعلق بمشيئته وإرادته بل هي لازمة لذاته أزلاً وأبدًا .

ومثلها في ذلك صفاته الأخرى كالوجه واليد والعلم والحياة والقدرة والعزة والسمع والبصر والقدم والكبرياء . . الخ . فهذه كما أسلفت صفات الله عز وجل الذاتية القائمة به سبحانه وتعالى وهي كما قلت لا تنفك عنه أزلاً وأبدًا ولا تتعلق بمشيئته وإرادته .

وهناك أيضًا صفاته الفعلية الاختيارية القائمة بذاته عز وجل وتتعلق بمشيئته وإرادته كل وقت وآن وهي تحدث بمشيئته وإرادته كالاستواء على العرش والنزول للسماء الدنيا والمجيء والإتيان والكلام والفرح والضحك والرضا والعجب والحب والبغض والكراهية والقبض والطي والإمساك الخ وليس هناك فرق بين صفاته عز وجل الذاتية كالعلم والحياة والأصابع واليد والوجه والعين وبين صفاته الفعلية الاختيارية كالمحبة والسخط والكره والكلام والرضا . الخ .. فهي كلها صفاته سبحانه وتعالى وقائمة بذاته المقدسة سواءًا الذاتية أو الفعلية الاختيارية .

وصفة الأصابع والكف لله عز وجل جاءت بها الأحاديث الصحيحة الكثيرة ، وكان الحبر اليهودي حينما كان يروي الحديث : « إن

الله يضع السموات على إصبع والأرضين على إصبع ... » الحديث كان يشير بأصابعه ولم ينكر ذلك عليه الرسول ﷺ . وكان السلف إذا رووا هذا الحديث أشاروا بأصابعهم واحدًا واحدًا حتى آخرها ولم ينكر ذلك عليهم . وكانوا يفعلون ذلك تحقيقًا منهم لإثبات أصابع الرحمن عز وجل وليس تمثيلاً لها بأصابع خلقه . وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ حيث كان إذا روى حديث : « يقبض الله سمواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزهن » كان عليه الصلاة والسلام يقبض يديه ويبسطها تحقيقًا لإثبات صفة اليدين لله عز وجل وليس تمثيلاً لها بأيدي خلقه تعالى الله عن ذلك وجاء عنه ﷺ أنه حينما قرأ قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] وضع إصبعه على عينه والأخرى على أذنه تحقيقًا منه لإثبات صفة السمع والبصر لله عز وجل .

فالواجب علينا قبول كل ما جاء به القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة من صفات الله عز وجل والإيمان بها والتسليم لها وإمرارها كما جاءت من غير تحريف . فمعناها معلوم والكيف مجهول . فنحن نثبت ما أثبته الله لنفسه وأثبته له نبيه ﷺ من غير أن نمثل صفاته عز وجل بصفات خلقه فهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها صفة الأصابع والكف لله عز وجل]

عن عبيدة عن عبد الله : « أن يهوديًا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد إن الله يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول : أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ »(١) وفي رواية أخرى للبخاري . والشجر والثرى على إصبع .

[رواه البخاري في صحيحه] .

عن علقمة عن عبد الله قال : « جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع والشجر والأنهار على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يقول بيده : أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ وقال ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ (٢) [رواه البخاري في صحيحه] .

عن عبد الله رضي الله عنه قال : « جاء حبر من اليهود فقال : إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع والأرضين على إصبع والماء والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يهزهن ثم يقول : أنا الملك أنا الملك فلقد رأيت النبي ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه تعجبًا

---

(١) البخاري : ٧٤١٤ .

(٢) البخاري : ٧٤٥١ .

وتصديقًا لقوله ثم قال النبي ﷺ : وما قدروا الله حق قدره إلى قوله يشركون » [٣][رواه البخاري في صحيحه] .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله ﷺ اللهم : مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » [٤] [رواه مسلم] . ولفظ « بين » لا يقتضي المخالطة ولا المماسة والملاصقة لغة ولا عقلاً قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١٦٤] وهو لا يلاصق السماء ولا الأرض .

عن عبد الله بن مسعود قال : « جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال يا محمد أو يا أبا القاسم . إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول : أنا الملك أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا مما قال الحبر تصديقًا له ثم قرأ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ » [٥] [الزمر : ٦٧] [رواه مسلم] .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تصدق أحد

---

(٣) البخاري : ٧٥١٣ .

(٤) مسلم : ١٧/٤٦ .

(٥) مسلم : ١٩/٥٠ .

بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلّا الطيب إلاَّ أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله » (٦) [رواه مسلم] . في هذا الحديث إثبات صفة الكف لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته .

---

(٦) مسلم : ٦٣/١٢ .

(١١) إثبات صفة العينين لله عز وجل

جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية إثبات صفة العينين لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته وأنه تعالى يرى بهما كل صغيرة وكبيرة ، وهي صفة قائمة بذاته المقدسة ولا تنفك عنه وهي ليست كمثل عيون خلقه .

وقد جاء ذكرها مفردة مضافة إلى الضمير المفرد كقوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩] وجاء ذكرها بالجمع مضافة إلى ضمير الجمع كقوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] وقوله : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] وقوله : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [هود : ٣٧] .

ولم يأت ذكرها في القرآن مثناة ، إلّا في حديث صحيح عن النبي ﷺ ، وإذا صح الحديث عن النبي ﷺ وجب الإيمان والعمل به . قال ابن القيم : ذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة ، ليس إلّا قولك : أفعل هذا على عيني ، لا يريد أن له عينًا واحدة ، ولما أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهرًا أو مضمرًا حسن جمعها مشاكلة للفظ كقوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ وهذا نظير المشاكلة في لفظ اليد المضافة إلى المفرد كقوله : ﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك : ١] ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ولما أضيفت إلى ضمير الجمع جمعت كقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا ﴾ [يس : ٧١] وقد جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ذكر العين مضافة إلى الله تعالى مفردة ومجموعة وجاءت السنة بإضافتها إليه تعالى مثناة كما قال عطاء عن أبي هريرة عن

النبي ﷺ : « إن العبد إذا قام في الصلاة قام بين عيني الرحمن فإذا التفت قال له ربه إلى من تلتفت ؟ إلى خير لك مني » . وقوله ﷺ : « إن ربكم ليس بأعور » صريح بأنه ليس المراد إثبات عين واحدة ، فإن ذلك عور ظاهر ، تعالى الله عنه . وهل يفهم من قول الداعي : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، إنها عين واحدة ليس إلّا ذهن أقلف وقلب أقلف ؟ وقد استدل السلف على إثبات صفة العينين لله عز وجل بقوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ انتهى كلامه (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩] قد قال عنها المفسرون أي – لتربى وتغذى على عيني وبمرأى مني ومنظر – وقوله في الحديث « إن الله ليس بأعور » فيه الدلالة الواضحة على أن لله عز وجل عينين موصوف بهما تليق بذاته . وذلك لأن العور هو الذي فقد إحدى عينيه . وكان النبي ﷺ حين يروي هذا الحديث يشير بأصبعه إلى عينيه لتحقيق الوصف وعلى أن يبين أن لله عز وجل عينين سليمتين من كل عيب ونقص بخلاف الدجال فإنه فاقد إحدى عينيه .

وقد جاء في سنن أبي داود على شرط مسلم أنه قرأ قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] فوضع إبهامه على أذنه والتى تليها على عينه وقال : « رأيت رسول الله ﷺ يقرأ ويضع إصبعيه » . والقصد بالإشارة بالإبهام في هذا الحديث تحقيق النبي عليه الصلاة والسلام لإثبات صفة السمع والبصر لله عز وجل وليس تمثيلاً لها بسمع وبصر خلقه تعالى الله عن ذلك .

---

(١) جـ ١ مختصر الصواعق لابن القيم ص ٣٤ ، ٣٥ . نقل بتصرف .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها صفة العينين لله]

عن نافع عن عبد الله قال : ذُكِرَ الدجال عند النبي ﷺ فقال : « إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » (١)

[رواه البخاري في صحيحه] .

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال : « إن الله تعالى ليس بأعور ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » (٢) [رواه مسلم] .

---

(١) البخاري : ٧٤٠٧ .

(٢) مسلم : ١٠٠/٥٢ .

(١٢) إثبات صفة السمع والبصر لله عز وجل

قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الاسراء : ١] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر : ٢٠] ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج : ٦١] ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ * إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء : ٢١٨ – ٢٢٠] .

جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية إثبات صفة السمع والبصر لله عز وجل في أكثر من مائة آية قرآنية وحديث ، وصفة السمع والبصر صفتين قائمتين بذات الرب عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته ، وهما لا تنفكان عن ذاته أزلاً وأبدًا . ومن هاتين الصفتين اشتق له اسم السميع والبصير ، فهو عز وجل يسمع بسمع ويبصر ببصر وليس هناك فرق بين إثبات كونه سميعًا بصيرًا وبين كونه ذا سمع وبصر وهذا قول أهل السنة قاطبة . وصفة السمع والبصر لله عز وجل جاءت في آيات قرآنية كثيرة ، فتارة يجمع سبحانه وتعالى بين صفة السمع والبصر وتارة بين صفة السمع

والعلم وتارة يذكر البصر مفردًا كقوله تعالى : ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ : ١١] ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٥] . فالله عز وجل سميع له سمع يدرك به المسموعات وبصير له بصر يدرك به المرئيات وكل منهما في حق الباري صفة قائمة بذاته ، وليس سمعه وبصره كسمع وبصر أحد من خلقه فهو ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ، وجاء في سنن أبي داود بسند على شرط مسلم عن أبي هريرة أنه قرأ قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه وقال : رأيت رسول الله ﷺ يقرأ ويضع إصبعيه . فحينما أشار أبو هريرة بإبهامه إلى محل سمعه وبصره أثناء روايته لهذا الحديث أراد بذلك تحقيق الوصف ولإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى وليس للتمثيل وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ . وقد روي اللالكائي عن ابن عباس أنه قرأ قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] فأشار بيده إلى عينه . (١) فنحن نؤمن بأن لله عز وجل عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وما في السموات والأرض وما في الكون كله ، ونؤمن بأن له سمعًا يسمع به جميع الأصوات باختلاف لغاتها ويسمع سرّها وجهرها ويسمع دبيب النملة ، فهو لا يغيب عن سمعه وبصره شيء ولا تخفى عنه خافية فهو عز وجل يرى ما لانراه ويسمع ما لانسمع قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] وليس رؤية الله أعمال من ذكر عملهم في هذه

---

(١) كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي جـ ٣ ص ٤١١ – طبعة دار طيبة . الرياض .

الآية كرؤية رسوله أو رؤية المؤمنين ، فقد فرّق تعالى بين رؤيته ورؤية رسوله والمؤمنين ، حيث أن رؤيته تعالى لا تتأثر ببعد المرئي ولا يحول دونها حائل ولا ساتر وكذا الحال في سمعه عز وجل فإنه لا يحول بين سماعه الأصوات حائل ولا حاجز ، جل من هذه صفاته .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات صفة السمع والبصر لله عز وجل]

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « إنها قالت للنبي ﷺ : هل أتي عليك يوم كان أشد من يوم أُحد قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت — الحديث وفيه — فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك ... » الحديث (٢) [رواه البخاري ومسلم] الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك » .

عن أبي عثمان عن أبي موسى قال : « كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبّرنا فقال : أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا تدعون سميعًا بصيرًا قريبا ثم أتى عليّ وأنا أقول في نفسي لا حول ولا قوة إلّا بالله فقال » الحديث (٣) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

(٢) البخاري : ٣٢٣١ — ٧٣٨٩ ، مسلم : ١١١/٣٢ .
(٣) البخاري : ٧٣٨٦ ، مسلم ٤٨/٤٤ .

عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال : « قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور - وفي رواية أبي بكر - النار لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » (٤) [رواه مسلم] . وفي حديث مسلم هذا إثبات صفة البصر لله عز وجل ومعلوم أن بصر الله عز وجل لا يفوته شيء ولا يستره ساتر ولا يحول دونه حائل .

عن تميم عن عروة عن عائشة قالت : الحمدُ لله الذي وسِع سَمْعُهُ الأصوات فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة : ١] (٥) [رواه البخاري في صحيحه] . وأصل الحديث « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله ﷺ تكلمه في جانب البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [وهو بتمامه مروي عند البخاري في صحيحه] .

عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول : « ما أذنَ الله لشيء ما أذنَ لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به » (٦) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] ومعنى : ما أذِنَ أي ما أنصت واستمع . وفيه إثبات صفة السمع لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته .

---

(٤) مسلم : ٢٩٣/١ .

(٥) البخاري : كتاب التوحيد رقم الباب /٩ .

(٦) البخاري : ٧٥٤٤ ، مسلم : ٢٣٣/٦ .

(١٣) إثبات صفة القدم لله عز وجل

جاء ذكر صفة القدم والرجل لله عز وجل في الأحاديث الصحيحة وهي صفة لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته ، وقد تلقتها الأمة بالقبول والإيمان بها ، وقدم الله عز وجل ليست كقدم أحد من خلقه فالله عز وجل ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ، ونحن نؤمن بصفة القدم لله كما جاءت عليه ونكل علم كيفيتها إلى الله تعالى ، وجاء تفسير ابن كثير ، عند قول الله تعالى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠] أنه تبارك وتعالى يقول لجهنم يوم القيامة هلى امتلأت ؟ وذلك لأنه عز وجل وعدها أنه سيملؤها من الجِنَّة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول هل من مزيد أي هل بقى شيء تزيدوني ؟ [١] . عند ذلك يضع رب العزة رجله في النار وينزوي بعضها إلى بعض فتقول : « قط قط » أي أن جهنم تقول لله عز وجل كفاني كفاني ما ألقى فيّ فلا متسع لغيرهم أي قد امتلئت . وهذا القول من جهنم حقيقة فإن الله تعالى ينطقها بكلام مسموع منها ، والحكمة في وضع الله تعالى رجله في النار هو أن النار في غاية العمق والسعة فحينما يضع تبارك وتعالى فيها رجله ينزوي بعضها إلى بعض ويتلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها .

---

(١) تفسير ابن كثير حـ ٤ ص ٢٢٦ نقل باختصار وتصرف .

وقال البخاري في تفسير هذه الآية : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يلقى في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه . وفي رواية له – حتى يضع رجله فتقول قط قط » [ورواه الإمام أحمد] بسياق آخر ، وكذلك رواه مسلم والروايات كلها موجودة في صحيح البخاري واتفق مسلم عليها . فمن هذه الأحاديث البيان الواضح بأن القدم والرجل وكلاهما عبارة عن شيء واحد صفة لله تعالى قائمة بذاته وهي ليست كمثل قدم ورجل أحد من خلقه ، وحكى الدارمي عن ابن عباس أنه قال : « الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدّر قدره إلّا الله » وهذا القول صحيح ومشهور عن ابن عباس (٢) ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وابن جرير في تفسيره وحكاه أبو سعيد الدارمي في الرد على المريسى . كما بينت ذلك سابقًا .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات صفة القدم لله]

عن أنس عن النبي ﷺ قال : « لا يزال يُلْقَى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض ثم تقول قدقد بعزتك وكرمك ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشيء الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة » (١) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

---

(٢) كتاب الرد على بشر المريسى لعثمان بن سعيد الدارمي .

(١) البخاري : ٧٣٨٤ ، مسلم : ٣٨/٥١ .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « اختصمت الجنة والنار إلى ربهما فقالت الجنة يارب مالها لا يدخلها إلّا ضعفاء الناس وسقطهم وقالت النار يعني أوثرت بالمتكبرين فقال الله تعالى للجنة أنت رحمتي وقال للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها قال فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا وإنه ينشيء للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثًا حتى يضع فيها قدمه فتمتليء ويُردُّ بعضها إلى بعض وتقول قط قط قط » (٢) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدةٍ منهما ملؤها . فأما النار فلا تمتليء حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتليء ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدًا . وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشيء لها خلقًا » (٣) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة : فمالي لا يدخلني إلّا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم ، قال الله للجنة : إنما أنت رحمتي أرحم

---

(٢) البخاري : ٧٤٤٩ ، مسلم : ٣٥/٥١ .
(٣) البخاري : ٤٨٥٠ ، مسلم : ٣٦/٥١ .

بك من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول قط قط قط فهنا لك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدًا . وأما الجنة فإن الله ينشيء لها خلقًا » (٤) [متفق عليه وهذا لفظ مسلم] .

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزّة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة » (٥) [متفق عليه واللفظ لمسلم] .

عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال : لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزّة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوي بعضها إلى بعض » (٦) [متفق عليه وهذا لفظ مسلم] .

(٤) مسلم : ٣٦/٥١ ، البخاري : ٤٨٥٠ .
(٥) مسلم : ٣٨/٥١ ، البخاري : ٧٣٨٤ .
(٦) مسلم : ٣٧/٥١ ، البخاري : ٧٣٨٤ .

(١٤) إثبات صفة الكلام لله عز وجل وأن القرآن الكريم كلام الله نزل به جبريل على محمد ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٨٧] ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٢] ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم : ٥٢] ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١١٥] ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠] ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢] ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥] ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٨] ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ [سبأ : ٢٣] ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل : ٧٦] ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] .

هذه الآيات وأكثر في كتاب الله تدل على إثبات صفة الكلام لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته ، وأن القرآن الكريم كلامه لفظًا ومعنى

لا كلام غيره وليس مخلوقًا كما يقوله أهل الضلال ، والله تعالى يتكلم بمشيئته ، كما دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وكلامه سبحانه وتعالى صفة قائمة بذاته وهي صفة ذات وفعل [١] قال تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وقال تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢] فالله سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته ، فمتى شاء أن يتكلم تكلم ، وكما أنه تعالى في الأزل تكلم بما يشاء فكذلك في المستقبل وفي كل وقت . إذا أراد أن يتكلم لأن كلامه سبحانه وتعالى لا انقطاع له ولا نهاية بل متعلق بمشيئته فهو لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء ، وما تكلم الله به فهو صفة له قائمة بذاته وليس مخلوقًا منفصلًا عنه ولا قائماً بغيره ولا لازمًا بذاته لزوم الحياة ، ولم تتجدد له هذه الصفة بل كونه متكلمًا بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة ، فهو تبارك وتعالى يتكلم بمشيئته وإرادته متى شاء ومع من يشاء من ملائكته وعباده ، وكلامه سبحانه وتعالى يُسمع منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبريل وغيره . وكما يكلم عباده يوم القيامة ويكلم أهل الجنة ويكلم الأنبياء في الموقف ، وتارة يسمع كلام الله من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبريل تبليغًا عنه وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول ﷺ عن الله تعالى فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ وكذلك نحن نسمع بواسطة التالي .

وقول الله تعالى وكلامه لا يختص بالكتب المنزلة على رسله فقط أو مع ملائكته أو بعض رسله بل إن الأحاديث التي جاءت بها السنة النبوية

---

(١) صفة ذات من حيث تعلقها بذاته تعالى واتصافه به ومن الصفات الفعلية حيث كانت متعلقة بالمشيئة والقدرة .

بعضها فيها من كلام الله تعالى ، مثل قوله في الحديث القدسي : « أعددت لعبادي الصالحين » وهذا القول والخطاب هو لله عز وجل ولكن بلفظ من رسوله عليه الصلاة والسلام ، أي أن المعنى من الله واللفظ من الرسول ﷺ ، ونسبة الحديث القدسي إلى الله تعالى نسبة لمضمونه لا نسبة لألفاظه لأن ألفاظه من عند الرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى من عند الله .

والكلام صفة المتكلم والقول صفة القائل وكلام الرب عز وجل ليس بائناً منه بل أسمعه لجبريل ونزل به جبريل على محمد ﷺ . وقد نوع الله تعالى صفة الكلام في إطلاقها عليه تنويعًا يستحيل معه نفي حقائقها بل ليس في الصفات الإلٰهية أظهر من صفة الكلام والعلو والفعل والقدرة بل حقيقة الإرسال تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى وإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة . فمن بعض هذا التنويع في صفة الكلام لله قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء : ١٦٤] ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء : ٨٧] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة : ٣٧] ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل : ٤٠] ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٌ فَصۡلٌ﴾ [الطارق : ١٣] ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب : ٨] ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم : ٥٢] ﴿كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ﴾ [الفتح : ١٥] ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء : ١٢٢] .

وهذا التنويع في صفة الكلام لله كالقول والقيل والسؤال والنداء والحديث والمناجاة والكلام مما يؤكد حقيقة صفة الكلام لله عز وجل كما

يليق بجلاله وعظمته . فهو تبارك وتعالى يتكلم بصوت يسمع منه ، مع من يشاء من ملائكته ويوم القيامة مع رسله وعباده ، وينادي بصوت يسمع منه ويقول ويسأل ويناجي ويأمر ويأذن ويخاطب وهذه الصيغ المتنوعة في صفة الكلام لله يستحيل معها أن يكون كلامه تعالى مجازًا بل هذا مما يثبت له حقيقة صفة الكلام ، والله تعالى يكلم من يشاء من عباده يوم القيامة إما إكرامًا له وامتنانًا عليه ككلامه لأهل الجنة أو تهديدًا له وتوبيخا وتقريعاً ككلامه لأهل النار .

قال تعالى : ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴾ [1] فالمنادي لموسى هنا هو الله تعالى وهو المناجي له أيضًا ، ونداؤُهُ ومناجاته صفة قائمة به تعالى ووقعت مناداته ومناجاته لرسوله موسى في وقت واحد معين ، وموسى حينما ناداهُ ربه سمع كلامه بحرف وصوت ، فالله تعالى نادى موسى بصوت سمعه موسى وإنما ناداه حتى أتى لم ينادهِ قبل ذلك . وذكر البخاري عن ابن عباس قال : لما كلم الله موسى كان النداء في السماء وكان الله في السماء [2] . وقال ابن جرير في تفسيره ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه وخاطب الله موسى خطاباً [3] .

---

(١) نداء الله لموسى كان من الوادي المقدس طوى من شاطيء الوادي الأيمن من جانب الطور الأيمن من الشجرة ، فهو تعالى ناداهُ من موضع معين في ذلك الوقت وقربه إليه دل على ما قاله السلف من قربه ودنوه من موسى عليه السلام ، مع أن هذا قرب مما دون السماء .
نقل باختصار وتصرف من فتاوي ابن تيمية جـ ٥ ص ٤٦٠ – ٤٦٤ .

(٢) كتاب خلق أفعال العباد للبخاري .

(٣) تفسير ابن جرير جـ ٩ ص ٤٠٣ تحقيق محمود شاكر .

وقوله : ﴿تَكْلِيمًا﴾ فهذا تأكيد على أن الرب تعالى كلم موسى . والذي تعقله الناس من النداء إنما هو الصوت المسموع كما قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ق : ٤١] والآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر نداء الرب تعالى هي في عشرة مواضع مختلفة من القرآن الكريم وكلها تثبت صفة النداء لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته ولا حاجة إلى أن يقيد النداء بالصوت فإنه بمعناه وحقيقته فإذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعًا ، ولهذا جاء تأكيد صحة ذلك بالحديث الصحيح : « يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك » الحديث .. فهنا جاء تقييد النداء بالصوت تأكيدًا وإيضاحًا كما قيد التكليم بالمصدر في قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ .

وهذه هي الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر نداء الرب عز وجل قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا ﴾ [الأعراف : ٢٢] ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم : ٥٢] ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النمل : ٨] ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص : ٣٠]
﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص : ٦٢]
﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص : ٧٤]
﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٦٥] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٧] ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ

حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [النازعات : ١٦] .

والله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب وليس هذا لغير الله عز وجل ، وفي هذا دليل على أن صوت الله ليس كمثل أصوات الخلق ، لأن صوت الله جل ذكرهُ يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا . وقال الإمام أحمد « إذا تكلم الله سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان » وكل ما حكاه الله في القرآن من قصص الأنبياء وأخبارهم فهو كلام الله تعالى قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت : ٢١] وهذا قول الأعضاء ذكره الله عنها على ما سيقع يوم القيامة . وقد يقول قائل : إن هذا الكلام كلام الأعضاء حكاهُ الله عنها . وليس كلامًا لله لأن الأعضاء لم تتكلم إلى الآن وإنما سوف تتكلم يوم القيامة ، والله عز وجل علم ما سيكون وما تتكلم به فذكرهُ لعبادهِ ليحذروا الوقوع فيما يوجب شهادة الأعضاء عليهم ، فهو كلام الله تكلم به وأخبر به عما سيقع وحتى الكلام الذي وقع وذكره تعالى عمن قال فإن ذلك يكون كلامه كما حكى عن الأنبياء وقولهم وغيره ، فقد حكى القرآن الكريم عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم وأسلوب غير أسلوبهم ونسب ذلك إليهم وإنما هو كلام الله تعالى لفظ ومعنى .

وقول الله تعالى وخطابه غير ما يخلقه ويفعله مفعولًا له ، وكلامه داخل في أفعاله الاختيارية ، ولهذا أخبرنا أنه لانفاد لكلماته ولا يجوز قصر الكلام على كتبه . والقرآن مهما قرأته لا يخرج عن كونه كلام الله تعالى ،

فنحن نقرؤه بأصواتنا المخلوقة ، وما نقرؤه بأصواتنا هو كلام الله تعالى مبلغًا عنه لا مسموعاً عنه ، وإنما سمعه منه جبريل ، فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ . قال تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٦] فهو لا يسمع كلام الله من الله وإنما يسمعه من مبلغه عن الله تعالى بصوت المبلغ وليس بصوت الله . وصوت المبلغ ونطقه من فعله وهو مخلوق ، وأما المبلغ المنطوق به فهو كلام الله تعالى وصفته .

والقراءة غير المقروء والصوت غير المصوت به ، أما المقروء والمصوت به فهو قول من كان ذلك القول له وصفته ، فإن كان من القرآن فهو قول الله تعالى . وإن كان من غيره فهو قول ذلك الغير الذي قاله مبتدءاً .

وقال النبي ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم » . فأضاف الصوت إلى العباد لأنه فعل لهم مخلوق والقرآن كلام الله تعالى . وجاء عنه ﷺ أيضًا الحديث وفيه : « بينا أنا في الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن » فهنا بيّن النبي ﷺ أن الصوت غير القرآن لأن الصوت مخلوق لأنه فعل العبد والقرآن كلام الله تعالى . وصوتنا بالقرآن مخلوق لكن القرآن المؤدى بصوتنا غير مخلوق لأنه كلام الله عز وجل . وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن تلاوة العباد للقرآن مخلوق لله تعالى لأنها فعل من أفعالهم التي خلقها الله ، وإضافة التغني إليه دل على أن القراءة فعل القارئ ، إذًا فالتغني فعل العبد وهو مخلوق وأما المتغنى به المجهور به فهو كلام الله تعالى . وحيث أن قراءة وتلاوة العباد تتصف بالسر والجهر

وذلك يستدعي كونها مخلوقة ، قال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِ ﴾ [الملك : ١٣] ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك : ١٤] فهذا يدل على أن قولهم مخلوق .

وتفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ أي : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ ﴾ الله ﴿ مَنْ خَلَقَ ﴾ من خلقه ، أي كيف يخفى عليه خلقه الذي خلق ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ اللطيف بعباده الخبير بهم وبأعمالهم .

والله تعالى تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه ، وكما أن القرآن كلام الله فكذلك هو كتابه لأنه كتبه في اللوح المحفوظ ولأنه مكتوب في المصاحف قال تعالى ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج : ٢١ ، ٢٢] ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة : ٧٨] وقال تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس : ١٣ – ١٦] والقرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود ، فمعنى منه بدأ أي كلامًا وقولًا ، وإليه يعود أي صفة له ، وقيل أي إليه يعود في آخر الزمان بأن يرفعه الله إليه والقرآن تكلم الله به بصوت سمعه منه جبريل فنزل به جبريل على محمد وأداه كما سمعه من الرب جل وعلا والقرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك من السماء الدنيا إلى الأرض منجّمًا على سيدنا محمد ﷺ في ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث منذ بعثته إلى أن توفى صلوات الله عليه وسلامه . قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان : ١] ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان . هذا وبالله التوفيق .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات صفة الكلام لله عز وجل]

عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفُذُهُم ذلك فإذا فزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير » [سبأ : ٢٣] [١] [رواه البخاري في صحيحه] .

في هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله عز وجل ، وأن له كلامًا يتكلم به ويقوله بصوته وأنه يُسمع منه كما هو ظاهر الآية : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ ﴾ . وقوله صفة له تليق بجلاله وعظمته . فهو عز وجل يتكلم متى شاء وكلامه صفة له ، وقائم بذاته المقدسة ، والقرآن الكريم كلام الله منه بدأ وإليه يعود ، ومعنى منه بدأ : أي أن الله هو المتكلم به ، وإليه يعود : أي أنه إليه يعود صفة له ، وقيل أي يرفع لقائله وهو رب العالمين في آخر الزمان .

عن عبد الله بن أنيس قال سمعت النبي ﷺ يقول : « يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرُبَ : أنا الملك أنا الديَّان » [٢] [رواه البخاري في صحيحه] .

قوله : « فيناديهم بصوت » من المعلوم بالعقل والضرورة أن النداء لا يكون إلّا بصوت ، وذكر الصوت هنا جاء لتأكيد النداء ، ومن هذا يتبين أن الله تبارك وتعالى يتكلم بكلام يُسمع منه تعالى ، وأن له صوتًا

---

(١) البخاري : ٧٤٨١ .

(٢) البخاري : كتاب التوحيد رقم الباب /٣٢ .

ولكن صوته ليس كمثل أصوات خلقه ولهذا قال : « يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قُرُبَ » فهذه الصفة تختصه بصوته تعالى وأما أصوات خلقه فيسمعها القريب منها فقط حسب قوة الصوت وضعفه .

عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلّا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه » (٣) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

وكلام الله مع عباده يوم القيامة هنا في هذا الحديث للمؤمنين لأن قوله : (ما منكم من أحد) نكرة سبقت بالنفي فهي من صيغ العموم ، غير أن قوله : (منكم) يجوز أن يكون قيدا في المؤمنين ، ويخرج من ذلك العموم الكفار لأنهم ليسوا منا .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك . فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار » (٤) [رواه البخاري في صحيحه] .

إثبات صفة النداء لله عز وجل وأنه بصوت مسموع يسمعه من شاء من عباده ، وأن صوته عز وجل يليق به ، فصوته ليس كمثل أصوات خلقه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل : إن الله قد أحب فلانًا فأحبه

---

(٣) البخاري : ٧٤٤٣ ، مسلم : ٦٧/١٢ .

(٤) البخاري : ٧٤٨٣ .

فيحبه جبريل . ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض » (٥) [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري وزاد فيه مسلم] .

إثبات نداء الله عز وجل لجبريل في هذا الحديث ، ونداءهُ عز وجل يكون بصوت مرتفع مسموع يسمعه جبريل منه ، وهذه الأحاديث السابقة والتي ذكرناها فيها أبلغ الأدلة على إثبات صفة الكلام لله عز وجل وأنه تعالى ينادي بصوت ويقول ويتكلم ويأمر ويناجي وكل هذه التعابير تؤكد وتثبت صفة الكلام لله عز وجل كما يليق بجلاله .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بينما أيوب يغتسل عريانًا خرَّ عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثى في ثوبه فناداهُ ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال بلى يارب ولكن لا غنى بي عن بركتك » (٦)

[رواه البخاري في صحيحه]

(نداء الله هنا لأيوب يجوز أن يكون بواسطة ويجوز أن يكون بدون واسطة على ظاهره ، لأنه تجرد عَن قرينة تعين على ذلك .)

عن صفوان بن محرز : « أن رجلًا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى قال : يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول أعملت كذا وكذا فيقول نعم ويقول عملت كذا وكذا

---

(٥) البخاري : ٧٤٨٥ ، مسلم : ١٥٧/٤٥ .

(٦) البخاري : ٧٤٩٣ .

فيقول نعم فَيُقَرِّرُهُ ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم » (٧)

[رواه البخاري ومسلم] .

(النجوى هي المحادثة بين اثنين أو أكثر سرًّا ، والمقصود في الحديث هو إثبات كلام الله تعالى مع عبده سرًّا يوم الجزاء والحساب وذلك يوم القيامة وأن الله تعالى يُدنى إليه عبده ويضع عليه كنفه فيستره من الناس) والله تعالى يحاسب عباده يوم القيامة كلهم في ساعة واحدة وكل منهم يخلو به ، فيقرره بذنوبه وذلك المحاسب لا يرى أنه يحاسب غيره .

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابًا : لو كانت لك الدنيا ، وما فيها ، أكنت مفتدياً بها ؟ فيقول نعم . فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم ، أن لا تشرك ، [أحسبه قال] ولا أدخلك النار فأبيت إلَّا الشرك »(٨)

[متفق عليه]

وفي هذا الحديث إثبات أن الله تعالى يكلم بعض أهل النار . وكلامه سبحانه وتعالى لأهل النار ليس بما يُسر القلب ويفُرح بل يكلمهم من باب التوبيخ والتهديد وغير ذلك ، وأما أهل الجنة فيكلمهم سبحانه وتعالى كلام محبة ورضوان وإحسان .

عن عبيد الله بن عبد الله عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ : « حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرَّأها الله مما قالوا وكلٌّ حدثنى طائفة من الحديث الذي حدثنى عن عائشة قالت ولكن والله ما كنت أظن أن

---

(٧) البخاري : ٧٥١٤ ، مسلم : ٥٢/٤٩ .

(٨) البخاري : ٦٥٥٧ ، مسلم : ٥١/٥٠ .

الله ينزل في براءتي وحيًا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى ولكنى كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرئنى الله بها فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ ﴾ [النور : ١١] العشر الآيات » [٩] [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

(التصريح بأن الله عز وجل يتكلم بما يوحيه إلى نبيه ، وكلامه تعالى منه ما يتعبد بتلاوته كالقرآن وغيره) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن رسول الله ﷺ قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وآتيناهم وهم يصلون » [١٠] [متفق عليه وهذا لفظ البخاري وعند مسلم] (فيسألهم ربهم) والشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله (فيسألهم) لأن الظاهر من السؤال أنه يكون بالكلام وسماع صوت السائل .

عن أنس بن مالك يقول : « ليلة أُسرى برسول الله ﷺ – الحديث وفيه – فقال الجبار : يا محمد قال : لبيك وسعديك قال : إنه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك » [١١] الحديث . وحديث الإسراء طويل واختصرته من أجل موضوع الباب وحديث الإسراء رواه الشيخان في الصحيحين .

---

(٩) البخاري : ٧٥٠٠ ، مسلم : ٥٦/٤٩ .
(١٠) البخاري : ٧٤٢٩ ، مسلم : ٥/٢١٠ .
(١١) البخاري : ٧٥١٧ ، مسلم : : ١/٢٥٩ .

والشاهد في الحديث لموضوع الباب هو قوله : « فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال إنه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب » . وهذا الجزء من الحديث فيه أبلغ البيان والصراحة بأن الله كَلَّم سيدنا مُحمدًا ليلة أُسرى به وكان كلام الرب عز وجل معه بدون واسطة وأن سيدنا محمدًا سمع كلامه وخطابه وقوله له « يا محمد » وأجابه النبي ﷺ بقوله : « لبيك وسعديك » .

عن أنس بن مالك قال : حدثنا محمد ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم » الحديث ، وفيه – « فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفّع فأقول يارب أمتي أمتي ، فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فإنطلق فأفعل » (١٢) – الحديث – [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] . واختصرته هنا لأجل موضوع الباب .

قوله (فيقال : ارفع رأسك) هذا القول من الله تبارك وتعالى فهو الذي يخاطب سيدنا محمدًا يوم القيامة ويقول له : « يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفّع » وهو تعالى الذي يقول له : « انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان » ولا يضر ما في هذه الخطابات الكريمة من الأفعال المبنية للمجهول كقوله : « فأستأذن فيؤذن لي » وقوله « فأخرّ له ساجدًا فيقال : يا محمد ارفع رأسك » لأنه قد علم أنه لا يقول ذلك إلّا رب العالمين .

---

(١٢) البخاري : ٧٥١٠ ، مسلم : ٣٢٢/١ .

والله عز وجل يتكلم ويخاطب من شاء من عباده يوم القيامة وكلامه سبحانه وتعالى بمشيئته فهو متى شاء أن يتكلم تكلم سواء يوم القيامة أو قبلها .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون : وما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك : فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يارب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعدهُ أبدًا » (١٣) [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري] .

في هذا الحديث إثبات أن الله تعالى يقول لأهل الجنة فيسمعون قوله ويجيبونه ، ويخاطبهم ويخاطبونه ، وكلام الله عز وجل بمشيئته تعالى فإذا شاء أن يتكلم تكلم ويكلم من شاء من خلقه .

عن عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه قال النبي ﷺ : إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى فيقول : اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول :

---

(١٣) البخاري : ٧٥١٨ ، مسلم : ٩/٥١ .

تسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة »(١٤) [متفق عليه] وهذا لفظ البخاري في هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله تعالى مع عبده وبدون واسطة وأنه تبارك وتعالى يكلم من شاء أن يكلمه من عباده يوم القيامة . كما أنه يكلم أهل الجنة بما يسر قلوبهم ويفرحهم ويكلم أهل النار من باب التوبيخ والاستهزاء والسخرية . وكذا يكلم من شاء أن يخرجه من النار ويدخله للجنة مثل ما جاء في هذا الحديث وغيره والأحاديث التي فيها ذكر كلام الله كثيرة ولا تحصى .

والمذكور في هذا الحديث أن آخر من يدخل الجنة ممن يلقى في النار من أهل الإيمان والتوحيد والذين إنما دخلوا النار بذنوب ارتكبوها ولم يشركوا بربهم لأن المشركين خالدين في النار لا يخرجون منها .
وقوله في الحديث : « آخر أهل النار خروجًا من النار » هو كما بينته أي أهل النار من الموحدين لله الذين دخلوا النار بذنوبهم ، أما أهل النار الذين ماتوا على الكفر والشرك بالله فهم لا يخرجون منها أبد الآباد .

عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد الّا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلّا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلّا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلّا النار تلقاء وجهه فأتقوا النار ولو بشق تمرة »(١٥) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

---

(١٤) البخاري : ٦٥٧١ ، مسلم : ٣٠٨/١ .
(١٥) البخاري : ٧٥١٢ ، مسلم : ٦٧/١٢ .

قوله : « ما منكم من أحد » الخطاب هنا للصحابة ، ويتناول أيضًا جميع المؤمنين سابقهم ولا حقهم برّهم وفاجرهم .

والمقصود أن الله عز وجل سوف يكلم عباده دون واسطة تبلغ العبد بما يقوله الرب تعالى ، لا ملك من الملائكة ولا غيره . بل الله تبارك وتعالى يتولى ذلك ويخاطب جميع عباده بدون واسطة بينه وبينهم وجميع عباده سوف يسمعون خطابه معهم وسوف يحاسب جميع عباده ويخاطبهم في وقت واحد وكل منهم يخلو بربه فيقرره بذنوبه وذلك المحاسب لا يرى أنه يحاسب غيره .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : « من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له » (١٦) [متفق عليه . وهذا لفظ مسلم] .

الشاهد في هذا الحديث على إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى هو قوله : « من يدعوني فأستجيب له ... إلى آخره » لأن هذا كلام الله يخص به عباده المؤمنين بنزوله إلى التعرض إلى فضله وكرمه .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم انت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى ثلاثاً » (١٧) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

---

(١٦) مسلم : ١٦٨/٦ ، البخاري : ٧٤٩٤ .

(١٧) البخاري : ٦٦١٤ ، مسلم : ١٣/٤٦ .

في هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله تعالى وذلك يتضح من تفضيل سيدنا موسى على سائر الأنبياء بهذه الخاصية وهي أنه كليم الله حيث أن الرب عز وجل كلمه بدون واسطة وسمع موسى صوته وكلامه ، وحينما كلّم الرب عز وجل موسى كان موسى بالأرض وكان النداء في السماء وكان الله في السماء . كما أنه تبارك وتعالى كلّم سيدنا محمدًا يوم أُسرى به وعرج به إلى فوق السماء السابعة حيث هناك دنا رب العزة منه فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه الصلوات المفروضة .

عن ابن عباس عن جويرية « أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلّى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم قال النبي ﷺ : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » (١٨) [رواه مسلم] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب هو قوله : « مداد كلماته » قال تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] قال ابن كثير في تفسيره يقول الله تعالى يا محمد لو كان ماء البحر مدادًا للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالات لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ أي بمثل البحر آخر ثم آخر وهلم جرا بحور تمدهُ

(١٨) مسلم : ٧٩/٤٨ .

ويكتب بها لما نفدت كلمات الله كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان : ٢٧] وقال الربيع بن أنس لو كانت تلك البحور مدادًا لكلمات الله والشجر كله أقلام لانكسرت الأقلام وفنى ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء لأن أحدًا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول ، إن مثل نعم الدنيا أولها وآخرها في نعم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها (١٩) . انتهى كلام بن كثير .

هذا وقد رأينا في الأحاديث السابقة التنويع في صفة الكلام لله عز وجل حيث جاء في تلك الأحاديث أنه تعالى يتكلم ويسأل وينادي ويناجي ويقول ويأمر ويأذن وهذا التنويع كله مما يؤكد حقيقة صفة الكلام لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته وأنه تعالى يتكلم متى شاء وكيف شاء .

---

(١٩) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٠٨ .

(١٥) إثبات نفسه عز وجل

المراد بنفسه ذاته المقدسة ، فعند جمهور العلماء : المراد بلفظ النفس الله نفسه التي هي ذاته ، والمتصفة بصفاته ، وليس المراد بها ذاتًا منفكة متجردة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات .

قال تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة : ١١٦] وقال تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ آل عمران : ٢٨] ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام : ٥٤] ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [طه : ٤١] .

وكذا جاء في الحديث الصحيح . يقول الله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي » — الحديث — [متفق عليه] .

وعن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه » — الحديث —

[متفق عليه]

وهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على أن المراد بالنفس هو الله تعالى . لا صفة للذات .

وجاء في تفسير ابن جرير عند قوله : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ يقول : « إنك يارب لا يخفى عليك ما أضمرته نفسي مما لم أنطق به ولم أظهره بجوارحي ، فكيف بما نطقت به وأظهرته بجوارحي ولو كنت قد قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، كنت قد علمته

لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به ، فكيف بما نطقت به ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾ يقول « ولا أعلم أنا ما أخفيته عني فلم تطلعني عليه ، لأني إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه »[١] وعنه أيضًا عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾ « أنعمت عليك يا موسى هذه النعم ، ومننت عليك هذه المنن اجتباء مني لك واختبارًا لرسالتي والبلاغ عني والقيام بأمري ونهيي »[٢] .

وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾ أي اصطفيتك واجتبيتك رسولًا لنفسي أي كما أريد وأشاء[٣] .

وقال شيخ الإسلام : ونفسه هي ذاته المقدسة[٤] . ويراد بنفس الشيء ذاته ، وعينه ، كما يقال رأيت زيدًا نفسه ، وعينه[٥] .

وقال أبو إسحاق الزجاج في قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ أي إياه .

وجاء عن البيهقي في : الأسماء والصفات ، عند قوله : ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾ ومعناه تعلم ما أكنه وما أسره ولا أعلم ما تسرهُ عني . انتهى كلامه .

ومن جعل النفس من الصفات فقد أخطأ ومن أعتقد أنها الذات

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١١ ص ٢٣٨ تحقيق محمود شاكر .
(٢) تفسير ابن جرير جـ ١٦ ص ١٦٨ مطبعة الحلبي .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٥٣ .
(٤) مجموع فتاوي ابن تيمية حـ ١٤ ص ١٩٦ .
(٥) مجموع فتاوي ابن تيمية حـ ٩ ص ٢٩٢ .

المجردة عن الصفات كذلك أخطأ . والصواب هو أن المراد بالنفس في هذا : الله تعالى ، فالمراد بنفسه ذاته المقدسة المتصفة بصفاته ، وليس المراد بها صفة للذات .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها ذكر نفسه عز وجل]

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش أن رحمتي تغلب غضبي » [١] [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

والشاهد في الحديث لموضوع الباب هو قوله : « يكتب على نفسه » ونفسه تعالى ذاته المقدسة كما بينا ذلك .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » [٢] [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

وقوله : « ذكرته في نفسي » هو الشاهد لموضوع الباب . ونفسه تعالى تليق به وليست كأنفس أحدٍ من خلقه .

---

(١) البخاري : ٧٤٠٤ ، مسلم : ١٤/٤٩ .

(٢) البخاري : ٧٤٠٥ ، مسلم : ٢/٤٨ .

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم : أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة قال له آدم أنت الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم قال فوجدتها كتب عليّ قبل أن يخلقني قال نعم فحج آدم موسى » (٣)

[متفق عليه وهذا لفظ البخاري]

والشاهد قوله : « واصطفاك لنفسه » .

عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : « لا أحد أغير من الله ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه » (٤) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

قوله (مدح نفسه) هو الشاهد لموضوع الباب .

الله سبحانه وتعالى أهل للمدح والثناء فلكماله المطلق مدح نفسه لأن الخلق غير قادرين على مدحه بما يستحق فلذلك مدح نفسه .

عن ابن عباس عن جويرية : « أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم . قال النبي ﷺ : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » (٥) [رواه مسلم] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « ورضا نفسه » .

---

(٣) البخاري : ٤٧٣٦ ، مسلم : ٤٦ /١٣ .

(٤) البخاري : ٤٦٣٤ ، مسلم : ٣٤/٤٩ .

(٥) مسلم : ٧٩/٤٨ .

(١٦) إثبات صفة الحياة والقيومية لله عز وجل

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وقال تعالى : ﴿ الم * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ [آل عمران : ١ ، ٢] ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [طه : ١١١] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ [الفرقان : ٥٨] ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر : ٦٥] .

في هذه الآيات الكريمات إثبات صفة الحياة والقيومية لله عز وجل كما يليق ذلك بجلاله وعظمته ، فهو تعالى حي بحياة أبدية أزلية باقية وحياة خلقه إنما هي حياة زائلة فانية فلا تماثل بينهما وإن اشتركا في اسم واحد وهو اسم (حي) فإنه يقال : فلان حي ، لكن حياته ليست مثل حياة رب العالمين فحياة المخلوق فانية مكتوب عليها الموت والزوال وحياة الرب تعالى أزلية أبدية .

وإن كانت حياة العبد ستكون دائمة يوم القيامة في الجنة إلّا أن هذه الحياة ليست من صفات ذات العبد اللازمة له ، فالله تعالى حياته من صفات ذاته اللازمة له ، ودوام حياة العبد في الجنة هي من إدامة الله لها . وقد جاء اسم الحي واسم القيوم في ثلاث سور من القرآن الكريم وهما اسم الله العظيم الأعظم كما قيل . والله تعالى حي واشتق من هذه الصفة اسمه الحي الذي له كمال الحياة ، والكمال في الحياة يتبعه الكمال في سائر الصفات اللازمة للحي . وكمال اسم الحي يستلزم ثبوت جميع صفات

الكمال الذاتية والفعلية له من الكلام والفعل والسمع والبصر والإرادة والعلم وغيرها ، لأن الحي هو الفعال والفرق بين الحي والميت الفعل فإن من ليس له فعل فهو ميت . وقوله تعالى : ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ﴾ أي لا يغلبه ﴿سِنَةٌ﴾ أي نعاس ونوم وهذا يدل على كمال حياته وقيوميته لأن النوم ينافي القيومية لأن النوم أخو الموت . وكما جاء في الحديث الصحيح قوله : « إن الله لا ينام »

واسم ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ معناه هو القائم بنفسه ويدل كذلك على أنه تعالى موجود بنفسه وهو معنى كونه واجب الوجود ، فالله تعالى قيوم قائم بنفسه فلا يحتاج لغيره بل هو مقيم لغيره ، ولا قيام لغيره إلّا بإقامته له . فبه تعالى قامت الموجودات كلها . وكمال اسم القيوم يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال الفعلية مثل الخلق والإحياء والرزق وغيرها . وجاء في الحديث : « أنت قيم السموات والأرض » واسم الحي واسم القيوم مشتق من صفة الحياة وصفة القيومية لله عز وجل ، فالأسماء تدل على الذات . والصفات تدل على معنى قائم بالذات ، وهذه المعاني أيضًا أسماء والأسماء مشتقة من الصفات ، فالله تعالى حي قيوم ، حي وله حياة ليست كحياة خلقه فحياته تعالى لا تفنى بل حياة دائمة أبد الآباد ، أما حياة خلقه فإنها زائلة وفانية ومقدر عليها الموت ، فلا شبه بين حياة الرب عز وجل وحياة الخلق لأن حياة الرب موصوفة بالكمال وحياة العبد موصوفة بالنقص والعيب . وكذا في سائر الصفات فإن ما يطلق على الرب تعالى يكون في حقه صفة كمال وما يطلق على العبد يكون في حقه صفة نقص وعيب .

(١٧) إثبات صفة العلم لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته .

قال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن : ٢٦] ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥] ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

هذه الآيات وأكثر في كتاب الله الكريم تدل على إثبات صفة العلم لله عز وجل كما يليق بذاته ، وصفة العلم إحدى صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله كما يليق بجلاله ، وعلم الله تعالى من لوازم نفسه المقدسة وهي من صفاته الذاتية والتي لا تنفك عنه أزلًا وأبدًا ولا تتعلق بمشيئته وإرادته ، فهو تعالى يعلم بعلم ومن هذه الصفة اشتق له اسم العليم ، وعلمه تعالى ليس كعلم خلقه فعلم خلقه لا يتجاوز ما قدره الله تعالى لهم مما أراد لهم أن يعلموه ، وأما علمه سبحانه وتعالى فهو محيط بكل شيء خلقه ، وعلمه تعالى سابق فهو يعلم ما سوف يكون قبل أن يكون ، كيف ولا وجميع الخلق مخلوقون بعلمه . فهو خالقهم وعالم بهم وبما هم عاملوه من صغير وكبير ، فهو تعالى يعلم ما كان وما سوف يكون ،

فعلمه سابق كل شيء خلقه فلا يخرج فعل من أفعال الخلق إلّا ويعلمه سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك : ١٤] فهو تعالى الذي خلقهم وخلق أفعالهم وعالم ما هي الأفعال التي سوف يعملونها قبل أن تقع منهم ، لأنه تعالى قدَّرها عليهم وكتبها عليهم فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض إلّا في كتاب مبين .

وعلم الغيب لا يعلمه إلّا هو سبحانه وتعالى وقد استأثر به نفسه دون خلقه ، فلا يعلم الغيب أحد سواه ، فهو تعالى قد أحاط علمه كل شيء في الماضي والمستقبل والحاضر ، كما أنه تعالى قد أطلع بعض رسله على بعض من المغيبات عن طريق الوحي إليهم وإعلامهم به ، مما جعل ذلك معجزة لهم وليكون دليلًا على نبوتهم وصدقهم . وهو تعالى أنزل القرآن بعلمه أي وفيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه ، من البينات وما فيه من العلم بالغيوب ، من الماضي والمستقبل ، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب إلّا أن يعلمه الله بها كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات صفة العلم لله عز وجل]

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلّا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلّا الله ولا يعلم ما في غد إلّا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلّا الله ولا تدري نفس بأي

أرض تموت إلّا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلّا الله » [١] [رواه البخاري في صحيحه] .

عن عائشة رضي الله عنها – قالت : « من حدثك أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد كذب ، وهو يقول : لا تدركه الأبصار ، ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول « لا يعلم الغيب إلّا الله » [٢] [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

والمراد بالإدراك هنا في الحديث : الإحاطة وهو لا ينافي الرؤية . فقول عائشة : « لا تدركه الأبصار » المراد به أنه تعالى لا يُرى في الدنيا ، وهذا استدلال من عائشة بظاهر الآية على نفي الرؤية في الدنيا فقط ، وأما يوم القيامة فلا ، فإن المؤمنين يرون ربهم برّهم وفاجرهم سوف يروه . الشاهد في الحديث لموضوع الباب هو قوله : « لا يعلم الغيب إلّا الله » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » [٣] [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

والشاهد في الحديث لموضوع الباب هو قوله : « وهو أعلم بهم » .

---

(١) البخاري : ٧٣٧٩ .
(٢) البخاري : ٧٣٨٠ ، مسلم : ٢٨٧/١ .
(٣) البخاري : ٧٤٢٩ ، مسلم : ٢١٠/٥ .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلًا يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم » – الحديث وفيه – « فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الأرض » (٤) الحديث . [رواه مسلم] .

والشاهد لموضوع الباب هو قوله : « فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم » .

(٤) مسلم : ٢٥/٤٨ .

(١٨) إثبات صفة الرحمة لله عز وجل

قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء : ١١٠] ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٦٤] ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

جاء اسم الرحمن واسم الرحيم في أكثر من آية قرآنية وحديث نبوي صحيح وكلها تثبت صفة الرحمة لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته ورحمة الله إحدى صفاته القائمة بذاته ، ومن هذه الصفة اشتق له اسم الرحمن واسم الرحيم إحدى أسمائه الحسنى والتى تسمى بها الرب عز وجل . فالرحمن من صفته الرحمة ، والرحيم من يرحم بالفعل ، فالرحمن اسمه والرحمة صفته والرحمن اسم يدل على صفة الذات واسم الرحيم يدل على صفة الفعل . قال ابن القيم : الرحمن دال على الصفة القائمة بالذات ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، ولهذا لم يجيء الاسم « الرحمن » متعديًا في القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ولم يقل رحمانا ، انتهى كلامه [١] .

---

(١) هذا ما ذهب إليه ابن القيم في كتابه مختصر الصواعق .

فالرحمن والرحيم أسماء لله عز وجل وأيضًا صفة له . واسم الرحمن واسم الرحيم من أظهر الأسماء التي افتتح الله بها كتابه الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وهي مفتاح الطهور والصلاة ومفتاح كل أمر وفعل . وجاء في السنن عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : « أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » وهذا الحديث يؤكد أن اسم الرحمة مشتق من اسمه الرحمن تعالى .

وكما أن الله تعالى له رحمة وهي صفته يرحم بها ويسمى رحيما فكذلك المخلوق له رحمة وهي صفته يرحم بها ويسمى رحيما ، ومجرد الاشتراك في الاسم أو في المعاني العامة لا يقتضي التشبيه . وليس ما يخص الله تعالى من هذا الاسم أو الفعل مماثلًا ومشابهًا لما يخص المخلوق ، فلا يتوهم أن مجرد المشاركة في المعنى يلزم منها التمثيل بين رحمة الله ورحمة العبد ، فأسماء الله تعالى وصفاته كلها حسنى وكاملة المعاني لا يلحقها نقص أو عيب ، وأما المخلوق فأسماؤه وصفاته ليست حسنى ولا كاملة المعاني بل فيها نقص وعيب وتناسب ضعفه وعجزه .

فالله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته . ومن آثار هذه الصفة أي صفة الرحمة لله عز وجل أن أرسل إلينا نبيه محمدًا ﷺ لينقذ الناس من الظلمات إلى النور ومن رحمته تعالى أن هدانا للإسلام ومن آثار رحمته أن أنشأ السحاب وأمطر المطر وأثمر النبات ومن رحمته أن سخّر لنا الأنعام فكل ذلك من آثار رحمته تعالى التي هو متصف بها ، ومنها اشتق له اسم الرحمن واسم الرحيم . إحدى أسمائه الحسنى .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات صفة الرحمة لله تعالى]

عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » (١) [رواه البخاري في صحيحه] .

والشاهد في الحديث لموضوع الباب هو قوله : « لا يرحم الله » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلّا ضعفاء الناس وسقطهم . قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنت عذاب أُعذب بك من أشاء من عبادي » الحديث (٢) [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب هو قوله : « أنتِ رحمتي أرحم بكِ من أشاء من عبادي » .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش أن رحمتي تغلب غضبي » (٣) [رواه البخاري في صحيحه . ورواه أيضًا مسلم] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « رحمتي تغلب

---

(١) البخاري : ٧٣٧٦ .

(٢) البخاري : ٤٨٥٠ ، مسلم : ٣٦/٥١ .

(٣) البخاري : ٧٤٠٤ ، مسلم : ١٤/٤٩ .

غضبي » قال الله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ أي أوجبها على نفسه تفضلًا وإحسانًا منه ، ورحمة الله تعالى أوسع وأشمل من غضبه فرحمته تعالى وسعت كل شيء ، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ هذا من كلام الله تعالى حكاية عن حملة العرش والذين حوله ، وسعة الرحمة معناه شموليتها وهذا معنى غلبها للغضب .

عن عمر بن الخطاب أنه قال : « قدم على رسول الله ﷺ بسبى فإذا امرأة من السبى تبتغى إذا وجدت صبيًّا في السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال رسول الله ﷺ لله أرحم بعباده من هذه بولدها » (٤) [رواه مسلم] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله « لله أرحم بعباده » .

عن أسامة بن زيد قال : « كنا عند النبي ﷺ إذ جاءه رسول إحدى بناته تدعوه إلى ابنها في الموت ، فقال النبي ﷺ : ارجع فأخبرها ، أن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمُرها فلتصبر ، ولتحتسب . فأعادت الرسول ، أنها أقسمت ليأتينها فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، فدفع الصبي إليه ، ونفسه تقعقع كأنها في شن ، ففاضت عيناه ، فقال له سعد : يا رسول الله ما هذا ؟ قال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » (٥) [رواه البخاري ومسلم] .

---

(٤) مسلم : ٢٢/٤٩ .

(٥) البخاري : ٧٣٧٧ ، مسلم : ١١/١١ .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « وإنما يرحم الله » .
ومن جملة هذه الأحاديث حول صفة الرحمة لله عز وجل يتبين لنا ثبوت هذه الصفة لله عز وجل كما يليق ذلك بجلاله وعظمته من غير أن تكون رحمته مثل رحمة أحد من خلقه فهو تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته .

فآيات وأحاديث الصفات يجب أن نجريها ونمررها على ظواهرها وأن لا نمثلها بصفات أحد من خلقه ، فنحن نثبت ما أثبته الله وأثبته له رسوله وننفي ما نفاه تعالى ونفاهُ عنه رسوله ، ولا نتجاوز النص ولا نحرف تلك الأحاديث بالتحريفات المضللة المفسدة للدين . فالله تعالى خاطبنا بلغة عربية لا اعوجاج فيها ، ولا غموض .

فنحن نؤمن بجميع ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفات نؤمن بأن له وجهًا يليق به عز وجل وأن له يدين وأن بهما أصابع وأن له كفًّا وأنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل وأن له عينين ، وأن له سمعًا وبصرًا وأن له رحمة يرحم بها ، وله علم وأن له قدرة وإرادة ومشيئة الخ ...

(١٩) إثبات صفة الغيرة لله عز وجل

جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة وصف الله تعالى بالغيرة وأنها إحدى صفاته القائمة به عز وجل ، وغيرة الله تعالى قد فسرها النبي ﷺ في قوله : « إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم الله » [متفق عليه] . ومعناه أن الله يغار إذا انتهكت محارمه .

فالله تعالى يغار والمخلوق يغار لكن غيرة الله تعالى كسائر صفاته لا تشبه صفات المخلوق . فغيرته عز وجل تليق بجلاله وعظمته مثل باقي صفاته .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات صفة الغيرة لله]

عن شقيق عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « ما من أحد أغير من الله من أجل ذلك حرّم الفواحش وما أحد أحب إليه المدح من الله (١)

[رواه البخاري ومسلم] .

الشاهد لموضوع الباب قوله : « ما من أحد أغير من الله » .

عن المغيرة قال : « قال سعد بن عبادة : لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : تعجبون

---

(١) البخاري : ٧٤٠٣ ، مسلم : ٣٣/٤٩ .

من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة » (٢) [رواه البخاري ومسلم] .

الشاهد لموضوع الباب قوله : « والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله » .

عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : « لا أحد أغير من الله ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه » (٣) [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « لا أحد أغير من الله » .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم عليه » (٤) [رواه مسلم] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « إن الله يغار ، وغيرة الله » .

---

(٢) البخاري : ٧٤١٦ ، مسلم : ١٧/١٩ .

(٣) البخاري : ٤٦٣٤ ، مسلم : ٣٤/٤٩ .

(٤) مسلم : ٣٦/٤٩ .

(٢٠) إثبات صفة الفرح لله عز وجل

جاء إثبات صفة الفرح لله عز وجل في الأحاديث النبوية وأنها صفة حقيقية تليق بذاته عز وجل ، وصفة الفرح لله من صفاته الفعلية المتعلقة بمشئيته والقائمة بذاته عز وجل وجميع صفاته تعالى قائمة به . جاء في الحديث الصحيح قول النبي ﷺ : « لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته » [متفق عليه] .

فعندما يتوب المؤمن لربه عند ذلك يحدث للرب تعالى هذا المعنى والمعبّر عنه بالفرح ، وهذا الفرح للرب تعالى يستلزم رضا الرب تعالى عن عبده التائب وغفرانه له وقبول توبته وفرح الله تعالى ليس كفرح المخلوق ففرح المخلوق غالبًا ما ينشأ عن خفة وسرور وطرب وقد يكون فرح بطر وأشر ، أما الرب تعالى فهو منزه عن ذلك كله . ففرحه ليس كمثل فرح أحد من خلقه لا في كيفيته ولا في أسبابه ولا في غاياته ، بل إن فرحه تعالى يكون من كمال رحمته وإحسانه وغايته إتمام نعمته على التائبين .

فنثبت لله عز وجل صفة الفرح كما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونجري هذه الصفة على ظاهرها كسائر الصفات ولا نحرفها ولا نصرفها إلى معاني مخالفة لما دلت عليه ظاهرها بل ظاهرها هو المراد وهو المقصود ، ففرحه تعالى معلوم وكيفيته مجهولة فلا أحد يعلم كيفية فرحه إلّا هو تعالى .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات صفة الفرح لله]

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة » (١) [رواه البخاري في صحيحه . ومسلم بلفظ آخر] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « الله أفرح » .

عن أبي هريرة عن رسول الله أنه قال : « قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أُهرول » (٢) [متفق عليه واللفظ لمسلم] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب « لله أفرح » .

---

(١) البخاري : ٦٣٠٩ ، مسلم : ٤٩/٨ .
(٢) مسلم : ٤٩/١ ، البخاري : ٧٤٠٥ .

(٢١) إثبات صفة التعجب لله تعالى

جاء في الأحاديث الصحيحة إثبات صفة التعجب لله تعالى كما يليق به عز وجل ، وصفة التعجب من صفات الله الفعلية المتعلقة بمشيئته وحكمته والقائمة بذاته وجميع ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات فهو قائم به وليس منفصل عنه ولا قائم بغيره ، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة لله عز وجل كما أثبتها له نبيه ﷺ ويثبتون له كذلك سائر صفاته التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له نبيه ﷺ .

وجاء في الحديث قول النبي ﷺ : « عجب ربك من شاب ليس له صبوة » . وقوله : « عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره » .

وليس عجب الرب تعالى مثل عجب المخلوق ، فعجب المخلوق إنما يكون عن خفاء في الأسباب أو جهل بحقائق الأمور وعجب الرب جل وعلا إنما هو معنى يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه . وهو الشيء الذي يستحق أن يتعجب منه ، وكيفية عجب الرب تعالى لا يعلمها إلّا هو ، كسائر صفاته لا أحد يعلم كيفيتها بل كل ما يعلم منها هو المعاني دون الكيفية .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات صفة التعجب لله تعالى]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل »(١) [رواه البخاري في صحيحه] .

الشاهد لموضوع الباب : « عجب الله من قوم » .

عن أبي هريرة قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلّا ماء . ثم أرسل إلى أخرى فقالت : مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلّا ماء فقال من يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا إلّا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنّا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تُطْفِئيهِ ، قال : فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال : قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة »(٢) [متفق عليه . وهذا لفظ مسلم] وعند البخاري قوله : « ضحك الله الليلة أو عجب من مقالكما » .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « قد عجب الله » .

---

(١) البخاري : ٣٠١٠ .

(٢) مسلم : ١٧٢/٣٦ ، البخاري : ٣٧٩٨ .

(٢٢) إثبات صفة الضحك لله عز وجل

جاء في الأحاديث النبوية إثبات صفة الضحك لله عز وجل كما يليق ذلك بجلاله وعظمته ، وصفة الضحك هي إحدى صفات الله الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئته والقائمة بذاته تعالى ، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته فهم يثبتونها له تعالى من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ، فهم لا يمثلون صفاته تعالى بصفات أحدٍ من خلقه ، فالله تعالى ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ، وكذا خلقه فإنهم لا يشابهونه لا في ذاته ولا في صفاته .

فصفة الضحك لله تعالى لا تشبه صفة ضحك أحد من خلقه ، فالخلق يحصل لهم الضحك عندما يستخفهم الفرح أو الطرب أو عند سماعهم أمراً غريبًا ، والله تبارك وتعالى يضحك عند وجود مقتضيه وهو الشيء الذي يستحق أن يضحك منه . وضحكه تعالى يحدث بمشيئته وحكمته وهو تعالى يضحك بالكيفية التي لا يعلمها إلّا هو .

[الأحاديث التي جاء فيها إثبات صفة الضحك لله عز وجل]

عن أبي هريرة « أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله – الحديث طويل وهو حديث الرؤيا وفيه قوله – : فلا يزال

يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك منه قال له ادخل الجنة »(١) الحديث [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري] . واختصرت الحديث هنا من أجل موضوع الباب .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب هو قوله : « يضحك الله منه فإذا ضحك » وعند مسلم : « يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد »(٢) [رواه البخاري . ومسلم] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « يضحك الله » .

عن أنس عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة – الحديث ، وفيه – فقالوا مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين »(٣) الحديث [رواه مسلم] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب : « من ضحك رب العالمين » .

---

(١) البخاري : ٧٤٣٧ ، مسلم : ٢٩٩/١ .

(٢) البخاري : ٢٨٢٦ ، مسلم : ١٢٨/٣٣ .

(٣) مسلم : ٣١٠/١ .

(٢٣) إثبات صفة الحب وصفة الكره لله عز وجل

قال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥] ﴿ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ [الصف : ٤] قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٦] .

جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية إثبات صفة الحب وصفة الكره لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته وهما من صفاته الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئته وحكمته والقائمة به عز وجل .

ومعنى قولنا – اختيارية – أي أنها تقع وتكون وتحدث باختياره تبارك وتعالى . فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة كما أنه تبارك وتعالى يكره بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة .

فالله تعالى يحب المؤمن الصادق ويكره الكافر والفاجر والمنافق ، وصفة الحب والكره لله تعالى ليست كصفة حب وكره المخلوق فالله تعالى ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته . ومن لوازم حبه تعالى أنه إذا أحب

عبدًا أكرمه وأثابه وجعله محبوبًا في قلوب الخلق ، وإذا كره عبدًا عاقبه وانتقم منه وجعل له البغضاء في قلوب الخلق .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات صفة الحب وصفة الكره لله تعالى]

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : قال الله : « إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه وإذا كره لقائي كرهت لقاءه » (١) [رواه البخاري في صحيحه] .

الشاهد لموضوع الباب هو قوله : « أحببت لقاءه ، كرهت لقاءه » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل : إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض » (٢) [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري وزاد فيه مسلم] .

الشاهد لموضوع الباب هو قوله : « إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا ، إن الله قد أحب فلاناً » .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من

---

(١) البخاري : ٧٥٠٤ .

(٢) البخاري : ٧٤٨٥ ، مسلم : ١٥٧/٤٥ .

عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنّه وما ترددت عن شيء ، أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » (٣) [رواه البخاري في صحيحه] .

الشاهد لموضوع الباب هو قوله : « أحب إليّ ، حتى أحبه ، فإذا أحببته ، وأنا أكره مساءته » .

عن عائشة : « أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ أخبروه أن الله يحبه » (٤) [رواه البخاري في صحيحه] .

الشاهد لموضوع الباب قوله : « أن الله يحبه » .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « أن رجلاً زار اخًا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخًا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك

---

(٣) البخاري : ٦٥٠٢ .
(٤) البخاري : ٧٣٧٥ ، مسلم : ٢٦٣/٦ .

كما أحببته فيه » (٥) [رواه مسلم] .

الشاهد لموضوع الباب هو قوله : « **الله قد أحبك** » .

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » (٦) [متفق عليه] .

الشاهد لموضوع الباب هو قوله : « أحب الله لقاءه ، كره الله لقاءه » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله يحب العُطاس ويكره التثاؤب » (٧) **– الحديث –** [رواه البخاري في صحيحه] **واختصرته من أجل موضوع الباب .**

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « إن الله يحب العطاس ، ويكره التثاؤب » .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يوم خيبر لأعطين هذه الراية غداً رجلًا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » (٨) – الحديث – [رواه البخاري ومسلم] واختصرته هنا من أجل موضوع الباب .

---

(٥) مسلم : ٣٨/٤٥ .

(٦) مسلم : ١٨/٤٨ ، البخاري : ٦٥٠٨ .

(٧) البخاري : ٦٢٢٣ – ٦٢٢٦ .

(٨) البخاري : ٤٢١٠ ، مسلم : ٣٤/٤٤ .

الشاهد لموضوع الباب قوله « ويحبه الله ورسوله » .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا : السام عليك فقلت بل عليكم السام واللعنة ، فقال : يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله قلت : أو لم تسمع ما قالوا قال : قلت وعليكم »(٩) [رواه البخاري ومسلم] .

الشاهد لموضوع الباب : « إن الله رفيق يحب الرفق » .

عن عدي بن ثابت قال : « سمعت البراء رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ أو قال : قال النبي ﷺ : الأنصار لا يحبهم إلّا مؤمن ولا يبغضهم إلّا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله »(١٠) [رواه البخاري ومسلم].

الشاهد لموضوع الباب قوله : « أحبه الله » .

---

(٩) البخاري : ٦٩٢٧ ، مسلم : ١٠/٣٩ .
(١٠) البخاري : ٣٧٨٣ ، مسلم : ١٢٩/١ .

(٢٤) إثبات صفة الرضى والغضب والبغض والسخط لله تعالى

قال تعالى : ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [البينة : ٨] ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [النساء : ٩٣] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ [محمد : ٢٨] ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٣] والمقت شدة البغض .

هذه بعض الآيات القرآنية التي جاء فيها إثبات صفة الرضى وصفة الغضب وصفة البغض وصفة السخط لله عز وجل وهي من صفات الفعل الاختيارية لله عز وجل ، وهي صفات حقيقية لله تعالى كما يليق به ، وهي ليست كمثل صفات أحد من خلقه ، فأهل السنة والجماعة يثبتونها لله تعالى كما جاءت من غير تحريف ، بل قالوا فيها تجري على ظاهرها كباقي الصفات .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات صفة الرضى والغضب والبغض والسخط لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته]

عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من اقتطع مال امرىء مسلم بيمين كاذبة لقى الله وهو عليه غضبان » (١) —

---

(١) البخاري : ٧٤٤٥ ، مسلم : ١/٢٢٠ .

الحديث – [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري] واختصرته من أجل موضوع الباب .

الشاهد لموضوع الباب هو قوله : « وهو عليه غضبان » .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « اشتد غضب الله على من قتله النبي ﷺ في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دَمَّوْا وجه نبي الله ﷺ » (٢) [رواه البخاري في صحيحه] .

الشاهد لموضوع الباب هو قوله : « اشتد غضب الله » .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول : هل رضيتم ، فيقولون وما لنا لا نرضى يارب وقد اعطيتنا مالم تعط أحدًا من خلقك فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يارب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا » (٣) [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري] .

الشاهد لموضوع الباب هو قوله : « أحل عليكم رضواني . فلا أسخط عليكم » .

عن أبي سعيد الخدري : « أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم قال : هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب » – الحديث – وفيه – ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون :

---

(٢) البخاري : ٤٠٧٤ .

(٣) البخاري : ٧٥١٨ ، مسلم : ٩/٥١ .

ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقول : لكم عندي أفضل من هذا ؟ فيقولون : يا ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول : رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا » (٤) [متفق عليه . وهذا لفظ مسلم] .

الشاهد لموضوع الباب قوله : « رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا » ففي هذه الجملة صفة الرضا والسخط . كما جاءت في الحديث الذي قبل هذا أيضًا . وهو أيضا عن أبي سعيد الخدري .

عن عبد الله بن عمر قال : « كان من دعاء رسول الله ﷺ : اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك » (٥) [رواه مسلم] .

الشاهد لموضوع الباب قوله : « وجميع سخطك » .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلّا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها » (٦) [رواه مسلم] .

الشاهد لموضوع الباب قوله : « كان الذي في السماء ساخطًا عليها » .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليرضى

---

(٤) مسلم : ٣٠٢/١ ، البخاري : ٧٤٣٩ .
(٥) مسلم : ٩٦/٤٨ .
(٦) مسلم : ١٢١/١٦ .

عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها » (٧)

[رواه مسلم] .

الشاهد لموضوع الباب قوله : « إن الله ليرضى » .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا » – الحديث وفيه – وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلانًا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه . قال : فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض » (٨) [متفق عليه] وهذا لفظ مسلم حيث أن البخاري لم يروه بهذا السياق فلم يجيء عنده : « وإذا أبغض عبدًا » .

الشاهد لموضوع الباب هو قوله : « وإذا أبغض عبدًا ، فيقول : إني أبغض فلاناً ، إن الله يبغض فلاناً » .

عن ابن عباس : « أن النبي ﷺ قال : أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطَّلب دم امرىء بغير حق ليهريق دمه » (٩) [رواه البخاري في صحيحه] .

الشاهد للموضوع قوله : « أبغض الناس إلى الله » .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أبغض

---

(٧) مسلم : ٨٩/٤٨ .

(٨) مسلم : ١٥٧/٤٥ ، البخاري : ٧٤٨٥ .

(٩) البخاري : ٦٨٨٢ .

الرجال إلى الله الألد الخصم » (١٠) [رواه البخاري ومسلم] .

الشاهد للموضوع قوله : « أبغض الرجال إلى الله » .

عن عدي بن ثابت قال : « سمعت البراء رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ أو قال : قال النبي ﷺ : الأنصار لا يحبهم إلّا مؤمن ولا يبغضهم إلّا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » (١١)

[رواه البخاري ومسلم] .

الشاهد للموضوع قوله : « أبغضه الله » .

---

(١٠) البخاري : ٧١٨٨ ، مسلم ٥/٤٧ .

(١١) البخاري : ٣٧٨٣ ، مسلم ١/١٢٩ .

(٢٥) صفات الله الفعلية التي جاءت في القرآن على وجه المقابلة والتي لا يحسن أن تضاف إلى الله تعالى ابتداء والتي لا يشتق منها اسمًا له .

قال تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤] ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا ﴾ [النمل : ٥٠] ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ ﴾ [يونس : ٢١] ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٩] ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾ [الطارق : ١٧] ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٨٣] ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [النساء : ١٤٢] ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [البقرة : ١٥] ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ ﴾ [التوبة : ٦٧] ﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧٩] ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٣] — أي شديد الأخذ بالعقوبة ، وقيل شديد القوة .

تضمنت هذه الآيات القرآنية صفة المكر وصفة الكيد وصفة الخداع وصفة الاستهزاء وصفة السخرية وهي من صفات الفعل الاختيارية لله عز وجل . ولكن لا ينبغي أن يشتق لله من هذه الصفات اسمًا له كأن يقال : ماكر أو كائد أو خادع أو مستهزيء أو ساخر بل يوقف عندما ورد به النص من أنه خير الماكرين وأنه يكيد لأعدائه الكافرين .

قال ابن القيم في مختصر الصواعق : هذا كله إنما يحسن على وجه المقابلة ولا يحسن أن يضاف إلى الله تعالى ابتداء فيقال إنه يمكر ويكيد ويخادع وينسى ويستهزيء ولو كان حقيقة لصلح إطلاقه مفردًا عن مقابله كما

يصح أن يقال يسمع ويرى ويعلم ويقدر . فالله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى لأن هذه الأفعال ليست ممدوحه مطلقًا بل تمدح في موضع وتذم في موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقًا فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزيء ويكيد فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها اسمًا يسمى بها ، فالمقصود أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء إلّا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق . انتهى [١] مختصر ملخص .

وقال الشيخ عبد العزيز السلمان في الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية لابن تيمية حول هذه الصفات قال : أما تسميته مكرًا وكيدًا فقيل من باب المقابلة نحو ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى : ٤٠] ونحو ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [النحل : ١٢٦] وقيل إنه على بابه فإن المكر إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده وهو ينقسم إلى قسمين : محمود ، ومذموم . فالقبيح إيصاله إلى من لا يستحقه والحسن إيصاله إلى من يستحقه عقوبة له فالأول وهو المحمود منه نسبته إلى الله لا نقص فيها والثاني وهو المذموم لا ينسب إلى الله فمن المحمود مكره سبحانه بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم من جنس عملهم وكذا يقال في الكيد والخداع والاستهزاء كما يقال في المكر والله إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلًا منه وحكمة . انتهى كلامه [٢] .

---

(١) جـ ٢ مختصر الصواعق لابن القيم ص ٣٣ – ٣٥ . بتصرف .

(٢) الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية . للشيخ عبد العزيز السلمان .

(٢٦) إثبات صفة الصبر لله عز وجل

جاء في الأحاديث الصحيحة إثبات صفة الصبر لله عز وجل كما يليق به ، ومن هذه الصفة اشتق له اسم « الصبور » إحدى أسمائه الحسنى .

قال ابن القيم في كتابه عدة الصابرين : أما الصبر فقد أطلقه عليه أعرف الخلق به وأعظمهم تنزيهًا له بصيغة المبالغة ، ففي الصحيحين من حديث الأعمش عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم » [(١)] .

وفي أسمائه الحسنى الصبور ، وهو من أمثلة المبالغة ، أبلغ من الصابر والصبار . وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق ولا يماثله من وجوه متعددة ، منها : أنه عن قدرة تامة ، ومنها : أنه لا يخاف الفوت ، والعبد إنما يستعجل لخوف الفوت ، ومنها : أنه لا يلحقه بصبره ألم ولا حزن ولا نقص بوجه ما ، وظهور أثر الاسم في العالم مشهود بالعيان كظهور اسمه الحليم والفرق بين الصبر والحلم أن الصبر ثمرة الحلم وموجبه ، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره ، فالحلم في صفات الرب تعالى أوسع من الصبر ، ولهذا جاء اسمه الحليم في القرآن في غير موضع ، والمخلوق يحلم عن جهل ويعفو عن عجز ، والرب تعالى يحلم مع كمال علمه ، ويعفو مع تمام قدرته ، أما صبره سبحانه فمتعلق بكفر العباد وشركهم ومسبتهم له سبحانه ، وأنواع معاصيهم وفجورهم فلا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة ، بل

---

(١) البخاري : ٧٣٧٨ .

يصبر على عبده ويمهله ويستصلحه ، ويرفق به ويحلم عنه ، حتى إذا لم يبق فيه موضع للصنيعه ولا يصلح على الإمهال والرفق والحلم ، ولا ينيب إلى ربه ويدخل عليه لا من باب الإحسان والنعم ، ولا من باب البلاء والنقم ، أخذه أخذ عزيز مقتدر . بعد غاية الإعذار إليه وبذل النصيحة له ، ودعائه إليه من كل باب ، وهذا كله من موجبات صفة حلمه وهي صفة ذاتية له لا تزول ، وأما الصبر فإذا زال متعلقه كان كسائر الأفعال التي توجد لوجود الحكمة وتزول بزوالها ، فتأمله فإنه فرق لطيف قل من تنبه له . وأشكل على كثير منهم هذا الاسم « الصبور » وقالوا لم يأت في القرآن ، فأعرضوا عن الإشتغال به صفحاً ثم اشتغلوا بالكلام في صبر العبد وأقسامه ، ولو أنهم أعطوا هذا الاسم حقه لعلموا أن الرب تعالى أحق به من جميع الخلق ، كما هو أحق باسم العليم والرحيم والقدير والسميع والبصير والحي وسائر أسمائه الحسنى ، من المخلوقين ، وأن التفاوت الذي بين صبره سبحانه وصبرهم كالتفاوت الذي بين حياته وحياتهم وعلمه وعلمهم ، وسمعه وأسماعهم . وكذا سائر صفاته . ولما علم ذلك أعرف خلقه به قال لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، فعلم أرباب البصائر بصبره سبحانه كعلمهم برحمته وعفوه وستره ، مع أنه صبر مع كمال علم وقدرة وعظمة وعزة ، وهو صبر على أعظم مصبور عليه فإن مقابله أعظم العظماء ، وملك الملوك ، وأكرم الأكرمين ومن إحسانه فوق كل إحسان – بغاية القبح – وأعظم الفجور ، وأفحش الفواحش ونسبته تعالى إلى كل ما لا يليق به والقدح في كماله وفي أسمائه وصفاته ، والإلحاد في آياته ، وتكذيب رسله عليهم السلام ومقابلتهم بالسب والشتم والأذى وتحريق

أوليائه ، وقتلهم وإهانتهم . أمر لا يصبر عليه إلّا الصبور الذي لا أحد أصبر منه ، ولا نسبة لصبر جميع الخلق من أولهم إلى آخرهم إلى صبره سبحانه وتعالى . ومما يعين على معرفة صبره تعالى وحلمه والفرق بينهما تأمل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا * تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩١] وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم : ٤٦] فأخبر تعالى أن حلمه ومغفرته يمنعان زوال السموات والأرض ، فالحلم وإمساكهما أن تزولا هو الصبر ، فبحلمه صبر عن معاجلة أعدائه . وفي الآية إشعار بأن السموات والأرض تهم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد ، فيمسكهما بحلمه ، ومغفرته ، وذلك حبس عقوبته عنهم ، وهو حقيقة صبره - تعالى - فالذي صدر عنه الإمساك هو صفة الحلم ، والإمساك هو الصبر ، وهو حبس العقوبة ، ففرق بين حبس العقوبة وبين ما صدر عنه حبسها فتأمله . انتهى كلامه (١) . وقد أختصرته بتصرف .

---

(١) عدة الصابرين لابن القيم الجوزية ص ٢٣٥ - ٢٣٧ .

(٢٧) إثبات صفة الساق لله عز وجل

قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم : ٤٢] .

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : « سمعت النبي ﷺ يقول : يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ، ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد ، فيعود ظهره طبقًا واحدا » (١) [متفق عليه] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « قد طالعت التفاسير المنقولة ، عن الصحابة ، وما رووه من الحديث ، ووقفت على أكثر من مائة تفسير فلم أجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات الصفات أو أحاديثها بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف ، إلّا في مثل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ فروي عن ابن عباس ، وطائفة أن المراد به : الشدة ، إن الله يكشف عن الشدة في الآخرة ، وعن أبي سعيد ، وطائفة أنهم عدوها في الصفات ، للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين . ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات ، فإنه قال : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ نكره في الإثبات لم يضفها إلى الله ، ولم يقل عن ساقه ، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلاّ بدليل آخر (٢) .

وقال أيضًا : الصحابة قد تنازعوا في تفسير هذه الآية ، هل المراد به الكشف عن الشدة ، أو المراد أنه يكشف الرب عن ساقه ولم يتنازع

---

(١) البخاري : ٤٩١٩ ، مسلم : ١/٣٠٢ .

(٢) مجموع الفتاوى جـ ٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

الصحابة ، والتابعون فيما يذكر من آيات الصفات إلّا في هذه الآية بخلاف قوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [صٓ : ٧٥] ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ونحو ذلك فإنه لم يتنازع فيها الصحابة والتابعون وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أن ذلك صفة لله تعالى يعني قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ لأنه قال : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ ولم يقل عن ساق الله ولا قال : يكشف الرب عن ساقه ، وإنما ذكر ساقًا نكرة غير معرفة ، ولا مضافة ، وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله ، والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين الذي قال فيه : « فيكشف الرب عن ساقه » وقد يقال : إن ظاهر القرآن يدل على ذلك ، من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ، ويدعون إلى السجود ، والسجود لا يصلح إلّا لله ، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه . وأيضًا فحمل ذلك على الشدة لا يصلح ، لأن المستعمل في الشدة أن يقال : كشف الله الشدة أي أزالها ، كما قال : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٠] وقال : ﴿ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٥] . وإذا كان المعروف من ذلك في اللغة أنه يقال : كشف الشدة – أي أزالها – فلفظ الآية ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم : ٤٢] وهذا يراد به الإظهار والإبانة وأيضًا هناك ، تحدث الشدة – لا إزالتها – فلا تكشف الشدة يوم القيامة . لكن هذا الظاهر من كون القرآن دالًا على الصفة ليس ظاهراً من مجرد لفظه « ساق » بل بالتركيب ، والسياق ، وتدبرا المعنى المقصود (٣) .

---

(٣) نقض التأسيس لابن تيمية جـ ٣ ص ١٥ ، ١٦ .

أيضًا تكلم ابن القيم عن موضوع صفة الساق بمثل ما تكلم به شيخه ابن تيمية وذلك في كتابه مختصر الصواعق الجزء الأول .

خلاصة القول في هذا الموضوع أن قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ ليس نصًّا صريحًا في أن الساق صفة لله تعالى لأنه جاء نكرة غير معرف بالإضافة إلى الله تعالى ، فيصح كونه صفة لله وكونه غير صفة ، وتعيينه لواحد من ذلك يتوقف على الدليل وقد دل الدليل الصحيح على أنه صفة لله تعالى والدليل هو حديث أبي سعيد الخدري والمذكور سابقًا .

(٢٨) إثبات صفة الإرادة والمشيئة لله عز وجل

جاء إثبات صفة الإرادة وصفة المشيئة لله عز وجل في آيات لا تحصى من كتاب الله وكذلك في الأحاديث النبوية الصحيحة .

وقد كتب عن موضوع الإرادة والمشيئة العلامة محمد خليل هراس يرحمه الله باختصار وتفصيل جيد لذلك أحببت أن أنقل ما كتبه كاملًا حول هذا الموضوع .

قال : الإرادة تنقسم إلى نوعين :

١ - إرادة كونية ترادفها المشيئة ، وهما تتعلقان بكل ما يشاء الله فعله وإحداثه ، فهو سبحانه إذا أراد شيئًا وشاءه كان عقب إرادته له كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] وفي الحديث الصحيح : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » .

٢ - وإرادة شرعية تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه ، وهي المذكورة في مثل قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ولا تلازم بين الإرادتين بل قد تتعلق كل منهما بما لا تتعلق به الأخرى فبينهما عموم وخصوص من وجه فالإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعًا كان أو غير واقع ، وأخص من جهة أن

الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به ، والحاصل أن الإرادتين قد تجتمعان معًا في مثل إيمان المؤمن وطاعة المطيع وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر ، ومعصية العاصي ، وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر وطاعة العاصي . [١] .

---

(١) نقلاً من شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد خليل هراس .

(٢٩) عن رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج .

قال ابن القيم : حكى عثمان الدارمي في كتابه : « الرد على المريسي » إجماع الصحابة على أن النبي ﷺ لم يرى ربه ليلة المعراج . وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك وابن عباس لم يقل أن النبي ﷺ قد رأى ربه بعيني رأسه وعليه اعتمد الإمام أحمد في إحدى الروايتين ، حيث قال : إنه رآه ولم يقل بعيني رأسه ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل : كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال : « نور أنّى أراه » (٢) .

قال ابن القيم سمعت شيخ الإسلام يقول في هذا الحديث : معناه كان ثم نور وحال دون رؤيته نور فأنّى أراه . قال ويدل عليه أن بعض الألفاظ الصحيحة هل رأيت ربك ؟ فقال : رأيت نوراً (٣) . قلت وهذا النور الذي رآه والله أعلم أنه نور الحجاب فهو الذي رآه وحال دون رؤيته

---

(١) إجتماع الجيوش الإسلامية . ص ٧ . ابن القيم الجوزية .
(٢) فتاوى ابن تيمية جـ ٦ ص ٥٠٩ ، ٥١٠ .
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٧ . ابن القيم .

لربه . حيث قد علم أن الله تعالى احتجب عن خلقه بالنور كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم وهو قوله : « حجابه النور » .

قال ابن القيم : جاء في صحيح مسلم عن مسروق قال : « كنت متكئاً عند عائشة فقالت : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية . قلت : ما هن ؟ قالت : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣] ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ ؟ [النجم : ١٣] فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء سادّاً عظم خلقه ما بين السماء والأرض ، فقالت : أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١] قالت : ومن زعم أن محمداً كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية . والله عز وجل يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة : ٦٧] قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله عز وجل يقول : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل : ٦٥] ولو كان محمد كاتماً شيئا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ

زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] وفي الصحيحين عن مسروق أيضاً قال : سألت عائشه رضي الله عنها ، هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : سبحان الله ! لقد قف شعري مما قلت . وفيهما أيضاً قال ، قلت لعائشة فأين قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم : ٨ ، ٩] قالت : إنما ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته ، فسد الأفق .

وفي صحيح مسلم أن أبا ذر سأله ﷺ هل رأيت ربك فقال : « نور أنّى أراه » (١) وأيضاً في مسلم من حديث أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات ، فقال : « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » (٢) .

وهذا الحديث ساقه مسلم بعد حديث أبي ذر المقدم وهو كالتفسير له ولا ينافي هذا قوله في الحديث الصحيح حديث الرؤية يوم القيامة : « فيكشف الحجاب فينظرون إليه » فإن النور الذي هو حجاب الرب تعالى يراد به الحجاب الأدنى إليه ، وهو لو كشف لم يقم له شيء كما قال ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] قال : ذاك نوره الذي هو نوره إذا تجلى به لم يقم له شيء وهذا الذي ذكره ابن عباس يقتضي أن قوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ على عمومه وإطلاقه في الدنيا والآخرة . ولا يلزم من ذلك أن لا يُرى بل يُرى في الآخرة بالأبصار

---

(١) مسلم ١/٢٩١ .

(٢) مسلم ١/٢٩٣ .

من غير إدراك . فإذا تجلى سبحانه وتعالى يوم القيامة وكشف الحجاب بينهم وبينه فهو الحجاب المخلوق وأما أنوار الذات الذي يحجب عن إدراكها فذاك صفة للذات لا تفارق ذات الرب جل جلاله . ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه (١) » .

قال ابن القيم : حكى عثمان الدارمي الإجماع على ما قالته عائشة ، فقال في نقضه على بشر المريسى ، في الكلام على حديث ثوبان ومعاذ أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت ربي البارحة في أحسن صورة » فحكى تأويل المريسى الباطل ، ثم قال ويلك أن تأويل هذا الحديث على غير ما ذهبت إليه . أما أن رسول الله ﷺ قال في حديث أبي ذر : « أنه لم يرى ربه » وقال رسول الله ﷺ : « لن تروا ربكم حتى تموتوا » وقالت عائشة رضي الله عنها : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . وأجمع المسلمون على ذلك ، مع قول الله : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعنون أبصار أهل الدنيا ، وإنما هذه الرؤية كانت في المنام ، يمكن رؤية الله على كل حال كذلك ، وروى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال : « صليت ما شاء الله من الليل ، ثم وضعت جنبي فأتاني ربي في أحسن صورة » فهذا تأويل هذا الحديث عند أهل العلم (٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وكذلك الحديث الذي رواه أهل

---

(١) التبيان في أقسام القرآن : لابن القيم الجوزية . ص ١٦٠ ، ١٦١ نقل باختصار .

(٢) نفس المصدر السابق . ص ١٦٢ .

العلم أنه قال : « رأيت ربي في صورة كذ وكذا » وفيه : « أنه وضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله على صدري » . في الحديث : أن النبي ﷺ نام عن صلاة الصبح ثم خرج إليهم وقال رأيت كذا وكذا ، فعلم أن هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسراً في كثير من طرقه : « إنه كان رؤيا منام » (٣) .

(٣) فتاوى ابن تيمية جـ ٣ ص ٣٨٧ .

(٣٠) إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة وهي خاصة بالمؤمنين

قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] روى ابن مردويه بسنده إلى ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال : ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ من البهاء والحسن ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال في وجه الله عز وجل .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥] قال الطبري في تفسيره لهذه الآية قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك : هو النظر إلى وجه الله عز وجل . وقال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] فالحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم ، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى الأشعري وابن عباس رضي الله عنهم روي ذلك عنهم ابن جرير (١) .

وجاء في صحيح مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد عن صهيب رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ناد مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ؟ ألم

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ١٥ ص ٦٢ تحقيق محمود شاكر .

يثقل موازيننا ويبيّض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة » . والمؤمنون سوف يرون ربهم في الدار الآخرة في عرصة القيامة وبعد ما يدخلون الجنة على ما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ ، فإن الله تعالى سوف يتجلى للمؤمنين في عرصات القيامة بعد أن يحجب الكفار كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة ثم يتجلى لهم في الجنة عموماً وخصوصاً دائماً أبداً سرمداً ، وما نقل عن السلف هو أن عامة الأحاديث الواردة في « الرؤية » لم تنص إلّا على رؤية المؤمنين وأنهم لم يبلغهم نص صريح برؤية الكافر . ووجدوا الرؤية المطلقة قد صارت دالة على غاية الكرامة ونهاية النعيم فأهل الحق والسلف متفقون على أن المؤمنين يرون الله في المعاد وأن الكافرين لا يرونه فثبت بهذا إجماع الأمة .

ورؤية المؤمنين لربهم تتكرر حيث أنهم يرونه في المحشر ثم يرونه بعد دخولهم للجنة فيزورونه ويكلمهم ويكلمونه . وأما قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وقوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام : ١٠٣] فليس فيها نفي للرؤية أو أن رؤيته مستحيلة وغير ممكنة ، بل هي إثبات للرؤية فإنه تعالى قال لموسى : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل إني لا أرى أو لست بمرئي ، فهو تعالى مرئي ويمكن رؤيته في الآخرة وليس في الدنيا لأنه لا تحتمل قوانا في الدنيا رؤيته تعالى لضعف قوانا في هذه الدنيا عن رؤيته تعالى ، فنحن لن نراه في الدنيا لعجز أبصارنا لا لامتناع الرؤية فإنه يوم القيامة يكمل الله قوانا حتى نستطيع رؤيته تعالى .

وأما قوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فمعناه أنه تعالى يُرى ولكن

لا يدرك ولا يحاط به . فهذا يدل على كمال عظمته وأنه تعالى أكبر من كل شيء فهو لذلك لا يدرك بحيث يحاط به فالإدراك معناه الإحاطة بالشيء فنحن سوف نرى ربنا يوم القيامة ولكن لا ندركه بأبصارنا فالإدراك قدر زائد على الرؤية فالرؤية ثابتة والإدراك منفي .

خلاصة هذا القول أن أبصار المؤمنين سوف ترى ربها يوم القيامة ولكن لا تحيط به رؤية . أيضاً العمدة في عدم رؤية الكافرين ربهم يوم القيامة هو قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] فدل حجب هؤلاء على أن أولياءه يرونه ، وأحاديث الرؤية متواترة في المعنى عند أهل العلم بالحديث لا ينكرها إلّا ملحد زنديق .

[الأحاديث النبوية التي جاء فيها إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة وأن المؤمنين فقط هم الذين يرون ربهم دون الكافرين]

عن قيس عن جرير قال : « كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا » (١) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

عن جرير بن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : « إنكم سترون ربكم عياناً » (٢) [رواه البخاري في صحيحه] .

---

(١) البخاري : ٧٤٣٤ ، مسلم : ٢١١/٥ .
(٢) البخاري : ٧٤٣٥ .

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » (٣)[متفق عليه . وهذا لفظ البخاري] .

عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتطع مال امرىء مسلم بيمين كاذبة لقى الله وهو عليه غضبان ، قال عبد الله ثم قرأ رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله جل ذكره : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧٧] (٤) [متفق عليه وهذا لفظ البخاري] .

الشاهد في الحديث لموضوع الباب قوله : « لقى الله » وقد فسر بعض السلف آيات وأحاديث اللقاء بالرؤية .

عن أبي هريرة : « أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها شك إبراهيم فيأتيهم الله فيقول : (أنا ربكم)

---

(٣) البخاري : ٧٤٤٤ ، مسلم : ٢٩٦/١ .

(٤) البخاري : ٧٤٤٥ ، مسلم : ٢٢٠/١ .

فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم – الحديث ..... (٥) [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري] .

وفي هذا الحديث إثبات صفة المجيء والأتيان لله تعالى وأيضاً صفة الكلام والحديث طويل ورواه كذلك أبو سعيد الخدري واختصرته هنا من أجل موضوع الباب لإثبات رؤية الله يوم القيامة .

عن أبي سعيد الخدري قال : « قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال : هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً ؟ قلنا لا . قال : فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلّا كما تضارون في رؤيتهما ثم قال ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من برّ أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب ... الحديث » (٦) وهو مثل حديث أبي هريرة السابق . [متفق عليه . وهذا لفظ البخاري] .

عن صهيب عن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل » (٧) [رواه مسلم] .

(٥) البخاري : ٧٤٣٧ ، مسلم : ٢٩٩/١ .
(٦) البخاري : ٧٤٣٩ ، مسلم : ٣٠٢/١ .
(٧) مسلم : ٢٩٧/١ .

(٣١) إثبات صفة الحياء لله عز وجل

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] جاء في القرآن الكريم وصف الله تعالى بالحياء ، والحياء إحدى صفاته التي وصف سبحانه وتعالى بها نفسه ووصفه به رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة : ٢٦] وهو سبحانه لا يستحي من ذلك لأنه حق والله تعالى لا يستحي من الحق ، ففي هذه الآية إشارة إلى انتفاء استحياء الله عز وجل من الحق ، وهذا يدل على أن الله عز وجل يستحي من غير الحق ، لأن الحياء من غير الحق وصف كمال والله سبحانه وتعالى متصف بصفات الكمال ، ولهذا جاء ثبوت الحياء لله فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله حي كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً » وكما روى الشيخان عن أبي واقد الليثي : « أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد – الحديث ... وفيه قال ﷺ – : وأما الآخر فاستحيا ، فاستحيا الله منه » (١) . وأخرج البخاري في صحيحه عن أم سلمة قالت جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن الله لاَ يستحيي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت » (٢) الحديث [رواه البخاري ومسلم] .

فالحياء هنا ثابت لله في هذه الأحاديث نطقاً صريحاً بدلالة

(١) البخاري : ٦٦ ، مسلم : ٢٦/٣٩ .

(٢) البخاري : ١٣٠ ، مسلم : ٣٢/٣ .

المنطوق ، وفي الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ ثابت لله بطريق المفهوم ، والحياء كسائر صفات الله تعالى يجب على المؤمن اعتقاد ثبوته لله عز وجل لأن الله أثبته لنفسه وأثبته له نبيه ﷺ ، وهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره فإذا أخبر عباده بصفة من صفاته وجب عليهم قبول هذه الصفة ، واعتقاد مدلوله من غير تمثيل ذلك بصفات أحد من خلقه فالله عز وجل ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته .

(٣٢) حديث : « إن الله خلق آدم على صورته »

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن » (١) [متفق عليه ورواه أيضاً أحمد في مسنده] .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا قاتل أحدكم أخاهُ فليجتنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته » (٢) [متفق عليه] وهذا لفظ مسلم وعند البخاري لم يجيء ذكر الصورة .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته » . [رواه أحمد في مسنده ، وإسناده في أعلى درجات الصحة] .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ، ولا تقل قبح الله وجهك ، ووجه من أشبه وجهك ، فإن

---

(١) مسلم : ٢٨/٥١ ، البخاري : ٦٢٢٧ .
(٢) مسلم : ١١٥/٤٥ .

الله تعالى خلق آدم على صورته » (٣) [رواه أحمد في مسنده وسنده حسن ورواه ابن أبي عاصم في السنة] .

عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقبحوا الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن » رواه ابن أبي عاصم في السنة وابن خزيمة في التوحيد واشترط أنه لا يدخل فيه إلّا حديثاً صحيحاً ، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات .

عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ : إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه ، فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه . [رواه ابن أبي عاصم في السنة وإسنادة صحيح] والحديث ظاهر في إبطال من جعل الضمير في قوله : « على صورته » عائداً إلى آدم .

عن ابن عمر قال : « قال رسول الله ﷺ : لا تقبحوا الوجوه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن » [رواه ابن أبي عاصم في السنة] وهذا الحديث صحيح صححه الأئمة : الإمام أحمد ، وإسحاق بن راهويه ، وليس لمن ضعفه دليل إلّا قول ابن خزيمة وقد خالفه من هو أجل منه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – أما تضعيف ابن خزيمة – لحديث ابن عمر بأن الثوري أرسله ، فخالف فيه الأعمش ، وأن الأعمش وحبيباً مدلسان ، فيقال قد صححه إسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل وهما أجل من ابن خزيمة باتفاق الناس (٤) .

---

(٣) كتاب السنة لابن أبي عاصم رقم ٥٢٠ .

(٤) نقض التأسيس لشيخ الإسلام ابن تيمية جـ ٢ ص ٢٣٦ .

عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ : من قاتل فليجتنب الوجه ، فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن » [رواه ابن أبي عاصم في السنة] وسنده أقل درجاته الحسن .

عن أبي هريرة : « عن النبي ﷺ قال : إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن صورة الإنسان على صورة الرحمن عز وجل » [رواه ابن أبي عاصم والدارقطني في الصفات .]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه نقض التأسيس « الصورة » هي الصورة الموجودة في الخارج ، ولفظ (صَ وَ رَ) يدل على ذلك وما من موجود من الموجودات إلّا له صورة في الخارج ، وما يكون من الوقائع يشتمل على أمور كثيرة لها صورة موجودة في الخارج ثم تلك الصورة الموجودة ترتسم في النفس صورة ذهنية ، فمثلاً صورة الواقعة ، أو صورة المسألة ، إما أن يراد بها الصورة الخارجية أو الصورة الذهنية . ولفظ الصورة في الحديث كسائر ما ورد من الأسماء والصفات ، التي قد يسمى المخلوق بها ، على وجه التقييد ، وإذا أطلق على الله اختصت به ، مثل العليم ، والقدير ، والرحيم ، والسميع ، والبصير ، ومثل خلقه بيديه واستوائه على العرش ونحو ذلك . وكما أنه لابد لكل موجود من صفات تقوم به ، فلابد لكل قائم بنفسه من صورة يكون عليها ويمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يكون عليها (١) .

---

(١) انتهى كلام شيخ الإسلام ونقلته هنا ملخصاً وبتصرف وهو من كتابه نقض التأسيس جـ ٣ ص ٢٤٥ ، ٣٩٦ باختصار .

وأقول بهذا : إن الصورة كالصفات الأخرى ، فأي صفة ثبتت لله تعالى بالوحي وجب إثباتها والإيمان بها .

وفي حديث الرؤية الطويل الذي رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وهو مخرج في الصحيحين وفيه قوله : « فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم » الحديث . وقد رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق بلفظ : « فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا أتانا ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه » الحديث وهو موجود أيضاً في كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري وعند مسلم : « فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه » الحديث ...

وروى الإمام أحمد والترمذي ، وابن خزيمة ، من حديث معاذ بن جبل قال : « احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح ، حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج رسول الله ﷺ سريعًا فثوّب بالصلاة ، فصلّى وتجوز فيها ، فقال إنما حبسنى أني رأيت ربي عز وجل في أحسن صورة » .

وأخرج الدارمي ، عن عبد الرحمن بن عائش : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : رأيت ربي عز وجل في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ

الأعلى يا محمد ؟ قلت : أنت أعلم أي ربِ فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثدي ، فعلمت ما في السموات والأرض » [١] ورواه الحاكم في المستدرك وابن جرير في التفسير وابن مندة في الرد على الجهمية والآجرى في الشريعة والدارقطني في الرؤية .

قال ابن قتيبة : « الصورة » ليست بأعجب من اليدين ، والأصابع ، والعين وإنما وقع الألف لتلك لمجيئها في القرآن ، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ونحن نؤمن بالجميع ، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد [٢] . قلت : وكان الإمام أحمد بن حنبل يشير إلى أن الواجب القول بظاهر الحديث « إن الله خلق آدم على صورته » و « إن آدم خلق على صورة الرحمن » لأنه ظاهر مراد المتكلم به فيجب اعتقاد ما دل عليه والقول بموجبه ، وفي ذلك رد لقول ابن خزيمة ومن قلده .

وروى الخلال عن أبي طالب من وجهين ، قال سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل يقول : من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلق . والذي يجب على أهل السنة هو امرار الحديث « خلق الله آدم على صورته » كما جاء من غير اعتقاد

---

(١) هذا الحديث الرؤيا فيه إنما هي رؤيا منام كما جاء مفسرًا في كثير من طرقه « إنه كان رؤيا منام » وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورة متنوعة على قدر إيمانه ويقينه ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة ولها « تعبير وتأويل » لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق . فتاوى ابن تيمية . نقل بتصرف جـ ٣ ص ٣٨٧ - ٣٩٠ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٢٢١ .

تمثيل أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله . إنتهى . وقال الطبراني في السنة : حدثنا عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل قال : قال رجل لأبي : إن رجلًا قال : خلق الله آدم على صورته أي صورة الرجل ، فقال كذب هو قول الجهمية (٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب : (نقض التأسيس) بعد أن ذكر حديث أبي هريرة المخرج في الصحيحين والذي فيه : « خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعًا ، ثم قال له إذهب فسلم » الحديث قال لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع ، في أن الضمير في هذا الحديث عائد إلى الله تعالى فإنه مستفيض من طرق متعددة ، عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك وهو أيضًا مذكور فيما عند أهل الكتابين ، من الكتب كالتوراة وغيرها . ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة ، في عامة أمورهم كأبي ثور ، وابن خزيمة ، وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم ، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة . قال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي في كتاب : (الفصول في الأصول) : فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول ، وإن صدر ذلك التأويل عن إمام معروف ، غير مجهول نحو ما ينسب إلى أبي بكر بن إسحاق بن خزيمة ، في تأويل الحديث « خلق الله آدم على صورته » فإنه يفسر ذلك

---

(٣) الفتح جـ ٥ ص ١٨٣ .

بذلك التأويل ، ولم يتابعه عليه من قبله من أئمة الحديث ، كما روينا عن أحمد رحمه الله ، ولم يتابعه أيضًا من بعده حتى رأيت في كتاب الفقهاء للعبادي الفقيه : أنه ذكر الفقهاء وذكر عن كل واحد منهم مسألة ، انفرد بها ، فذكر الإمام ابن خزيمة ، وأنه انفرد بتأويل هذا الحديث « خلق الله آدم على صورته » على أني سمعت عدة من المشايخ رووا أن ذلك التأويل مزور مربوط على ابن خزيمة وإفك مفترى عليه ، فهذا وأمثال ذلك من التأويل لا نقبله ولا يلتفت إليه ، قلت ذكر الحافظ أبو موسى المديني فيما جمعه من مناقب إسماعيل بن محمد التيمي ، قال سمعته يقول : أخطأ محمد بن إسحاق بن خزيمة في حديث الصورة ، ولا يطعن عليه ذلك ، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب ، قال أبو موسى : أشار بذلك إلى أنه قلّ من إمام إلّا وله زلّة ، فإن ترك ذلك الإمام لأجل زلّته ، ترك كثير من الأئمة ، إذا عرف ذلك فيقال : أما عود الضمير إلي غير الله تعالى ، فباطل من وجوه :

أحدهما : ما في الصحيحين إبتداء « أن الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعًا » وفي حديث آخر « أن الله خلق آدم على صورته » ولم يقدم ذكر أحد يعود الضمير إليه .

الثاني : أن الحديث الآخر لفظه : « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته » وليس في هذا ذكر أحد يعود الضمير إليه .

الثالث : أن اللفظ الذي ذكره ابن خزيمة ، وتأوله ، وهو قوله : « لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجها أشبه وجهك ، فإن الله خلق آدم

على صورته » ليس فيه ذكر أحد يصلح عود الضمير إليه ، وقوله في التأويل أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب ، والذي قبح وجهه ، فزجر ﷺ أن يقول ووجه من أشبه وجهك . فيقال له : لم يتقدم ذكر مضروب فيما رويته عن النبي ﷺ ولا في لفظه ذكر ذلك بل قال : « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته ولم يقل إذا قاتل أحدكم أحدًا أو إذا ضرب أحدًا ، والحديث الآخر ذكرته (الخطاب لابن خزيمة فإنه رواه من هذا الطريق) من رواية الليث بن سعد ولفظه : « ولا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجهًا أشبه وجهك ، فإن الله خلق آدم على صورته » وليس في هذا ذكر مضروب حتى يصلح عود الضمير إليه .

الرابع : أنه في مثل هذا لا يصلح إفراد الضمير ، فإن الله خلق آدم عل صورة بنيه كلهم ، فتخصيص واحد لم يتقدم له ذكر ، بأن الله خلق آدم على صورته في غاية البعد لا سيما وقوله : « إذا قاتل أحدكم » وقوله : « إذا ضرب أحدكم » عام في كل مضروب . والله خلق آدم على صورهم جميعهم فلا معنى لإفراد الضمير . وكذلك قوله « لا يقولن أحدكم » قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك » عام في كل مخاطب والله قد خلقهم كلهم على صورة آدم .

الخامس : أن ذرية آدم خلقوا على صورة آدم ، لم يخلق آدم على صورهم .

روى الخلال عن أبي طالب قال سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن

حنبل يقول من قال : إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي – وأي صورة – كانت لآدم قبل أن يخلق ؟ وهذا الوجه الذي ذكره الإمام أحمد يعم الأحاديث كلها . قوله ابتداء : « إن الله خلق آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً » وقوله : « لا تقبحوا الوجه .. » الخ وقوله : « إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ، فإن الله خلق آدم عل صورته » ومن المعلوم بالضرورة أنه لم تكن لآدم صورة خلق عليها قبل صورته التي خلقها الله تعالى . وكان علماء الأمة لا ينكرون إطلاق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن ، بل كانوا متفقين على إطلاق مثل هذا ، وكراهة بعضهم لرواية ذلك ، في بعض الأوقات ، له نظائر فإن الشيء قد يمنع سماعه لبعض الجهال ، وإن كان متفقًا عليه بين علماء المسلمين .

وقد قدمنا أنه يجوز الاستشهاد بما عند أهل الكتاب ، مما هو موافق لما أثر عن نبينا ﷺ ، ففي السفر الأول من التوراة : « سنخلق بشراً على صورتنا يشبهنا » ولا ريب أن كل موجودين ، لابد أن يتفقا في شيء يشتركان فيه ، وأن أحدهما أكمل فيه وأولى من الآخر ، وإلا إذا قدر أنهما لا يتفقان في شيء أصلًا ، ولا يشتركان فيه ، لم يكونا موجودين وهذا معلوم بالفطرة البديهية ، التي لا يتنازع فيها العقلاء ، الذين يفهمونها ، وهذا الذي جاءت به السنة من ثبوت هذا الشبه من بعض الوجوه ، وقد أخبر به الرسول ﷺ فوجب قبوله والإيمان به ، والله تعالى هو الذي خلق آدم على صورته ، وهذا لا يناقض قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] لأن المماثلة منفية عن الله تعالى على كل حال ، فهو جل وعلا لا يماثله شيء وليس له سمى ، ولا ند ، ولا كفء ، وكل ذلك

لا يمنع المشابهة من بعض الوجوه البعيدة ، كالوجود مثلًا ، والعلم والحياة ونحو ذلك ، والضمير في قوله « طوله » عائد إلى آدم الذي قيل فيه « خلق آدم على صورته » ثم قال « طوله ستون ذراعًا » أي طول آدم ولفظ الطول وقدره ، ليس داخلًا في مسمى الصورة ، حتى يقال : إذا قيل : خلق آدم على صورته ، وجب أن يكون على قدره . ومن المعلوم أن الشيئين المخلوقين يكون أحدهما على صورة الآخر مع التفاوت العظيم في جنس ذواتهما وقدر ذواتهما . والإضافة تتنوع دلالتها بحسب المضاف إليه ، فلما قال في آخر الحديث « فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، طوله ستون ذراعًا » اقتضى ذلك مشابهة الجنس في القدر ، لأن صورة المضاف ، من جنس صورة المضاف إليه ، وحقيقتهما واحدة . وأما قوله : « خلق الله آدم على صورته » فإنها تقتضي نوعًا من المشابهة فقط ، لا تقتضي تماثلاً في حقيقة ولا قدر وأما قول ابن خزيمة : فإن الإضافة فيه إضافة خلق ، كما في ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس : ١٥] و « بيت الله » ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ﴾ [الزمر : ١٠] و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾] [الروم : ٣٠] فالكلام عليه من وجوه : أحدها : أنه لم يكن قبل آدم صورة مخلوقة ، خلق عليها ، فقول القائل : خلق على صورة مخلوقة لله – وليس هناك إلّا صورة آدم بمنزلة قوله على صورة آدم ، وقد تقدم ابطال هذا من وجوه كثيرة ، ثم إن إضافة المخلوق جاءت في الأعيان القائمة بنفسها ، كالناقة والبيت – والأرض والفطرة التي هي السنة المطردة ، فأما الصفات القائمة بغيرها ، مثل العلم والقدرة ، والكلام والمشيئة ، إذا أضيفت كانت إضافة صفة إلى موصوف وهذا هو الفرق بين الإضافتين وإلّا ألتبست الإضافة التي هي إضافة صفة إلى موصوف والتي هي إضافة مملوك ومخلوق

إلى المالك والخالق ، وذلك هو ظاهر الخطاب في الموضعين ، لأن الأعيان القائمة بنفسها قد علم المخاطبون ، أنها لا تكون قائمة بذات الله تعالى فيعلمون أنها ليست إضافة صفة وأما الصفات القائمة بغيرها فيعلمون أنه لابد لها من موصوف تقوم به وتضاف إليه وعلى هذا فالصورة قائمة بالموصوف بها ، المضافة إليه ، فصورة الله كوجه الله ويد الله وعلم الله وقدرة الله ومشيئة الله وكلام الله ويمتنع أن تقوم بغيره ثم إن قوله : « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته » لو كانت الإضافة ، إضافة خلق ، وملك لوجب أن لا يضرب شيء من الأعضاء ، لأن إضافته إلى خلق الله تعالى وملكه كإضافة الوجه سواء . ثم إن قوله : « لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك ، فإن الله خلق آدم على صورته » يدل على أن المانع هو مشابهة وجهه لصورة الله تعالى . فلو أريد صورة يخلقها الله تعالى لكان كونه هو مخلوقًا لله . أبلغ من كونه مشبهًا لما خلقه الله فيكون عدولًا عن التعليل بالعلة الكاملة إلى ما يشبهها (١) . انتهى .

وبهذا ينتهي كتاب « صفات الله عز وجل »
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الاثنين ١١ / ٦ / ١٤١٠ جدة

صالح علي المسند

---

(١) نقل باختصار وبتصرف من كتاب : « نقض التأسيس » لابن تيمية . جـ ٣ ص ٢٠٢ - ٢٥٠ .

فهرس كتاب « صفات الله عز وجل »

الموضوع	الصفحة

مراجع الكتاب

١ – القرآن الكريم .
٢ – صحيح الإمام البخاري – دار الطباعة العامرة بأستانبول .
٣ – صحيح الإمام مسلم – دار الطباعة العامرة بأستانبول .
٤ – مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . الطبعة السعودية .
٥ – نقض التأسيس لابن تيمية . المخطوط .
٦ – مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم . المطبعة السلفية بمكة المكرمة .
٧ – عدة الصابرين . لابن القيم .
٨ – خلق أفعال العباد . للإمام البخاري – طبع دار عكاظ بجدة .
٩ – الأسماء والصفات للبيهقي .
١٠ – تفسير ابن كثير .
١١ – تفسير ابن جرير – تحقيق . محمود شاكر .
١٢ – اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية . لابن القيم .
١٣ – الرد على بشر المريسي . لعثمان بن سعيد الدارمي – طبعة المكتب الإسلامي .
١٤ – التبيان في أقسام القرآن . لابن القيم .
١٥ – شرح أصول إعتقاد أهل السنة للالكائي – تحقيق . أحمد سعد حمدان .
١٦ – السنة . لابن أبي عاصم – طبعة المكتب الإسلامي – تحقيق . ناصر الألباني .
١٧ – فتح الباري . للحافظ ابن حجر .
١٨ – تأويل مختلف الحديث . ابن قتيبة .